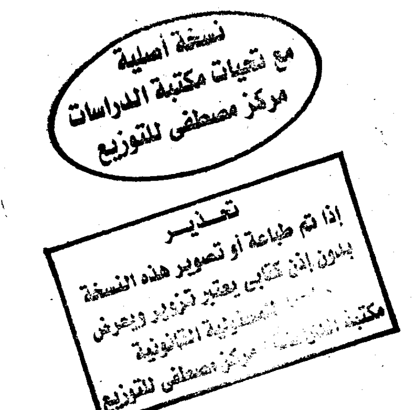


جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بدسوق

المعراج الروحى
عند الصوفية

إعداد
دكتور
ثروت حسين سالم
مدرس العقيدة والفلسفة
جامعة الأزهر - دسوق

٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:-

الحمــد لله رب العالميــن ،والصلاة والسلام على نبى الله الكريم وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين ، وبعد

فــإن علم التصوف من العلوم الجليلة التى ترقى بالنفس وتهذبها كما أن غايته الفوز بســعادة الدارين، وقد انتابته كغيره من العلوم عواصف عديدة اقتربت به أحيانا من الإسلام وأخرى نأت بها عنه،

ولقــد حاول أرباب الاستشراق (وغيرهم من أعداء الإسلام)جهد طاقتهم إبطال هذا العلــم وذلــك برده لأصول غير إسلامية،ولاغرابة فى هذا الأمر فهذا دأبهم ؟ إنهم يريدون خلع المسلمين من أصولهم لتبقى لهم الصولة والجولة :ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ،ومن هنا فقد قيد الله تعالى لهذا العلم من حملوا أصوله الإســلامية القائمــة على النهج المتبع قرآنا وسنة ودافعوا عن تعاليم هذا الطريق وقد وضــعوا له القواعــد والأصول،ولعلنا نتذكر الإمام الجنيد والإمام المحاسبى والإمام الغــزالى وغيرهم،واطلقوا صيحتهم بأن علمهم قائم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن خالفهما فهو ليس من أهل الطريق ،وأما تلك النظريات المشوبة بالتــيار الفلسفى والتى دخلت إلى ساحة هذا العلم (بحكم عالمية الاسلام وتقابله مع الثقافات المختلفة وحركة الترجمة والجوار مع أرباب الديانات المختلفة وقيام الحوار والمــناظرة بين المسلمين وغيرهم ..ألخ) كل هذا العوامل كان لها أثرها المباشر وغــير المباشــر فى نشأة هذا العلم ودخول هذه التيارات المختلفة البعيدة تماما عن الإســلام ولــذا فقــد تناول أرباب التصوف السني بالنقد هذه النظريات الدخلية فلا حلــول ولااتحــاد ولاوحدة ..ألخ هذا ولقد سطر أرباب هذا العلم قواعدهم العملية والعلمية قولا وعملا وظهر ذلك فى سلوكياتهم وتعاملاتهم المتنوعة ،

والسالك لهذا الطريق الإشاري لايعارض عمل العقل ولاينقض النص وإنما لابد له منهما .

*وإذا كان الإنسان مكون من روح و جسد فإنهما لابد من تخليتهما عما يشوبهما من أدران تحول دون إشراقات ونفحات المولى عزوجل .

*ومن هنا فقد اتخذ الصوفية المعراج الروحى كسلم إلى الله تعالى فجاهدوا أنفسهم عن طريق السير فى المقامات المختلفة من التوبة والتوكل ...الخ فظهر ذلك عليهم أحوالا وهبات من الله تعالى .

*وإذا كان أرباب التصوف قد سلكوا طريق النظر والعمل فأولى بنا أن نطهر أنفسنا مما علق بها لنكون عبادا ربانيين نستحق شرف الانتساب إلى عباد الرحمن .ولايقولن قائل إن هذا الأمر مقصور على السابقين ممن صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إنها كلمة هو قائلها ومن وراء ذلك نفحات الإله لكل من اتبع نهج الإسلام واقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم .

*وقبل أن نقف على المعرج الروحى عند الصوفية لابد من الإشارة إلى مباحث هامة تتعلق بعلم التصوف من حيث التسمية والنشأة والفرق بينه وبين الزهد ..الخ إذ كيف يتسنى لنا الحديث عن المقامات والأحوال دون أن نعرج على هذا العلم وهذه الأمور بمثابة معالم لهذا الفن ورجاله الذين سلكوا طريقه .

والله أسأل أن يوفق أبنائنا لكل ما يحبه ويرضاه إنه ولى ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف .

المبحث الأول

أصل الكلمة ومصدر اشتقاقها

الرأي الأول :-

يــر ى أربابــه أن لفظة تصوف مشتقة من الصفاء :- وفى هذا يطالعــنا قول أبي بكر الكلاباذى ٩٩٠م قالت طائفة (إنما سميت الصــوفية صــوفية لصــفاء أسرارها ونقاء آ ثارها)[١]وهذا الــتعربف يكاد يجمع عليه جل المؤرخين وذلك ثابت مما أورده نيكلسون قائلا ويقصد به هؤلاء (صفاء النفس من الكدورات البشــرية. فالقــاطع أو السالك للمعراج الروحى ينبغى عليه أن يــنقى نفســه من شوائب البشرية ما أمكنه الى ذلك سبيلا حتى يتســنى له صفاء قلبه ونقاء سريرته ومن ذلك نقرأ قول بشر بن الحارث ت ٢٢٧هـ(الصوفى من صفا قلبه لله)[٢]فبعد صفاء القلب تصفو معاملته مع ربه ومع الناس ومن هنا رأى بعض الصوفية أن الصوفي هو من صفت لله معاملته فصفت له من الله عزوجل كرامته ومن هذا المنطلق نتلو قوله تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله)●

(١-٢)راجع التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذى ص (١٢).

● - سورة البقــرة الآية - (٢٨٢).

وقولـه (ألا إن أولـياء الله لاخـوف عليهم ولاهم يحزنون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة)(*) ولكن مع كل هذا فإن الـذى عليه أغلبية الصوفية أن اللغة لاتجيز هذه النسبة فنقول فى النسـبة إلـى الصفاء صفائى ولانقول صوفى،وكذا إلى الصفو صفوى لاصوفى فالفرق بين الانتساب والاشتقاق واسع وكبير.(*) وهـذا خطأ وقع فيه كثير من الكتاب الذين لايفرقون بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه،إلى غير ذلك مما هو معروف لدى أرباب العلوم المختلفة.ولعلنا هنا نتذكر دراسة علم المنطق وماله من باع فى باب التعريف بالرسم أو بالحد ...ألخ

الرأي الثاني :-

- يـرى أنصاره أن الكلمة مأخوذة من (الصف) فهى تطلق على الصـف الأول فلا يُقَدم عليهم أحد ولايحازيهم فى منزلتهم قرين وذلك لارتفاع هممهم وإقبالهم على الله،ووقوفهم بسرائرهم بين يـدى الله تعـالى ولـذا كان خير الصفوف (الصف الأول)فهم السـابقون المقربون جهادا بالنفس والمال ...ألخ وجهادهم هو

(*) سورة يونس الآية (٦٢)
(*) الاسلام والتصوف مصطفى عبد الرازق ص ٣٥ وما بعدها ط دار الشعب ١٩٧٩م

الجهاد الأكبر لأنه يدور مع النفس تخلية وتحلية ۰ فهم قد ربطوا أنفســـهم علـــى الطاعة وشغلوا أنفسهم بها فهم فى المقدمة على غيرهم ومع هذا فإن هذا المعنى عليه مأخذ، فإن اللغة لاتجيز هذا الأمر لأنَّ النسبة إلي الصف صفى لاصوفىّ (*).

الرأي الثالث

*يـــرى أشـــياعه أنَ الكلمة منسوبة إلي صوفة القفا وهى خصلة الشـــعر على القفا وذلك راجع لكون بعض الزهاد والنساك يرســـلون شعورهم وراء أقفيتهم فتتدلى منها خصلة في مؤخرة العنق ۰

*وقـــيل إن صوفة القفا اسم قبيلة تعرف ببنى صوفه كانت تخدم الكعـــبة فـــى الجاهلية (*). ولكن هذا الرأي لايرقى إلى درجة الصـــحة ويحـــتاج للتمحـــيص وذلك لأنَ اللغة لاتجيزه وإن سلم المعنى من الطعن والرد ۰

(*) راجع التصوف الاسلامى بين أنصاره وخصومه ص٢٣
(*) راجع دائرة المعارف الإسلامية ج٤ ص ٦١٨

الرأي الرابـع

يرى زعماؤه أن الكلمة منسوبة إلي الصوفان أو الصوفانة وهو نبت ضعيف محروش الساق لايحتاج إلى عناية؛ وفيه إشارة الى اكتفاء الصوفية بالقليل أو بما يحقق لهم حفظ حياتهم وبقاء نوعهم. إشـــارة الى حياة الزهد التى كانوا يعشيونها. فوجه الشبه حاضر وهـــى الاكتفاء بالقليل فى كل أو الزهد. وهذا الوجه لاتؤيده اللغة أيضا وإن انطبق معناه على الصوفية .

الرأى الخامس :-

يـــرى أنصاره أن الكلمة مشتقة من صوفة نسبة إلى (الغوث بن مـــرة)(*) وذلـــك راجع لنذر والدته والتى لم يعش له ولد (فى الجاهلـــية) إن حملـــت لتنذر نه للكعبة (ولعلنا تنذكر قول امرأة عمـــران (رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا)(*) أى خالصا لخدمـــة المسجد الأقصى) ولهذا سمى الغوث باسم صوفة وأطلق علـــيه، لكـــنَّ ولدها لم يكن كما كانت تريد من نحو جعله محررا للبيـــت وبدأ يندس ويختلط مع الغلمان فى الحرم المكى، فلم تجد

(*) راجع تلبيس ابليس ص٦١

(*) سورة ال عمران الآية (٣٥) .

المــرأة حيلة ، إلا أن علقت فى رقبته صوفة مما كانت تغزله حتى يتميز عن بقية الغلمان، إذ غاب عنها وفكرت فى البحث عنه . وتخــتلف الــروايات فــى شخص هذا الرجل ومسماه.فرأى الــبعض أنه الغوث وآخرون أنه بشر بن بن أد بن طابخة أو هو الغــوث بن مر بن طابخة(*) ومنهم من يرى أنه صوفة بن مراد ابن أد ابن طابخة ويلاحظ أنها تعود إلى قبيلة واحدة كانت تجاور البيــت أو انَّ هذه الأسماء كانت لشخص واحد تعددت أسماؤه وقد عرف بها بين القبائل المختلفة،كالحال مع جد الرسول صلى الله علــيه وســلم عبد المطلب فقد كان يعرف بشيبة الحمد ...ألخ والــتزم هــذا الرجل ونسله الالتزام بالبيت وخدمته وهذا الرأى يحــتاج للتقويم أيضا وذلك لأنَّ قبيلة غوث قوم غير مشهوريين ولامعروفيــن عند أكثر النساك،ولأنه لو نسب إليه هذه الطريق لظل موجودا منذ عهد الصحابة ومن أتى بعدهم ولايعرف غالبية أهــل التصوف مصدرا قويا لهذا الأصل وهذا الأمر غير واقعى بين قوم رفعوا ألويه الحمد والشكر وبين نذر جاهلى ...الخ

(*) تلبيس ابليس ابن الجوزى ت أبو عبد الله الأنصارى ص ١٤٦ وما بعدها ط دار القلم .

الرأي السادس

يرى أربابه أن الكلمة مأخوذة من الصفة،وهو مكان معروف فى مسـجد رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان يأوى إليه بعض فقـراء المسلمين ممن وهبوا أنفسهم للعبادة والطاعة والقرب من رسـول الله صـلى الله علـيه وسلم،وانعكس ذلك على أعمالهم الباطـنة،والـتى علقت بهم إلى وفاتهم، ويلاحظ أن أرباب هذا الاتجـاه يعـودون بـه إلـى أصل إسلامي لأخذ التقرير على صلاحيته من معايشه وهو النبى صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فـإن هذا الرأي يشوبه النقص من ناحية التسمية،فهم مع فقرهم والـذى لايجـد الواحد منهم طعاما إلا أن يربط على بطنه من الجوع ويرتمى على الأرض ويظن الناس به جنونا وليس به إلا الجوع كالحال مع سيدنا أبى هريرة كما يروى عن نفسه ، فكان يعيشون على ما يعطى لهم ولم يكن لهم لباس إلا جلباب الصوف لـيس غيره ومع تبشير الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة إلا أن النسبة إلى الصفة صفى وليست صوفى (*).

(*) الرسالة ص ١٣٨ .

الرأي السابع

يــرى أنصــاره أن الكلمــة مــأخوذة من كلمة صوفيا اليونانية ومعــناها الحكمــة(*) ولكن المصادر الحديثة تكاد تجمعى على ضــعف هــذا الرأى فكلمة صوفيا ليست مصدر أو أصل كلمة تصوف ورده البعض من المستشرقيين إلى كلمة ثيوصوفيا ولكن يــرده كوبلــه فكلمــة (السيجما اليونانية)غير معروفة فى اللغة الآرامية فمن غير المحتمل أن تو جد فى اللغة العربية فضلا عن كتابــتها رســما بالسين لابالصاد. وعلى هذا فالبون بينهما واسع ويلاحــظ أن أرباب هذا الطريق أرادوا العودة بهذا الطريق الى أصــل يونــانى، مــع أن الكلمــة وجدت فى البيئة العربية قبل ا لإســلام وقــد استحدثت من اليونانية من اللفظة سوفس التى تعــنى صافى أو واضح متميز، وقد نهج الحنفاء كعمرو بن نفيل وقــس بــن ساعده وغيرهما، وقد كان عليه السلام من المتحنثين فالتعريــب كــان موجــودا فــى البيئة العربية، فلا مانع أن يقال فيلسوف أو فيلصوف للدلالة على محبى الحكمة مقابل صوفى أو سوفى، وهكذا يبدوا لنا القاسم المشترك بينهما، وعند التحقيق يبدو لــنا أن المخالطة والاطلاع على التراث اليونانى لم تتم إلا فى

(*) راجع الحركة الصوفية فى الإسلام د/محمد على ابو ريان ص ١٣

عصـــر الترجمة ومن هنا كانت محاولة بعض خصوم التصوف إسـقاط هذا العلم باعتباره دخيلا على البيئة الاسلامية ناهيك عن جهـود بعض المستشرقين من محاولة إصباغ العلوم الاسلامية بالصـبغة الغربـية لتجريد المسلمين من كل شئ فإذا أضفنا إلى ذلك تسرع بعض الكتاب فى إصدار أحكامهم لمجرد وجود تشابه بين اللفظتين فهذا مما يجانب الموضوعية فى البحث العلمى .

*كذلـك هـناك من يرى أن الكلمة منسوبة إلى الحكماء الهنود القدامـى المعروفيـن باسم جديمنوصوفيا وهو اسم يونانى أطلقه اليونان على هؤلاء الهنود العراة الذين كانوا يقضون حياتهم فى السياحة متأملين فى الله .

الرأي الثامن :-

يرجع أربابه الأمر إلى تقليد الصوفية لرهبان النصارى فى لبس الصوف وهو رأى مردود لوجوه منها :-

*أن العرب كانوا فى جاهليتهم وفى الصدر الأول من الإسلام يلبسون الصوف وكانت من أكثرها شيوعا تلك الملابس الخشنة فلماذا لم يسموا بالصوفية منذ جاهليتهم .

*لـيس مـن المعقـول أن يتجه رجال الصدر الأول من العباد والـزهاد والنساك إلى تقليد رهبان النصارى وهم تابعون لدين كان على المسلمين أن يحترسوا من الخلط بين تعاليمه ورسومه وشعائر الاسلام .

لايـتفق هـذا الرأى مع ما يقوله كثير من المستشرقين عن هذه الفـترة عـندما ظهـرت الشعوبية تعبيرا عن رغبة الفرس فى الانـتقام فـى الانـتقام لانهـيار دولتهم ومن هنا حاول بعض المستشـرقين إرجـاع التصـوف لأصـول فارسـية كرد فعل لانهـزامهم أمـام المسـلمين.ومـن هنا فالنصرانية والفارسية حركتان يخالف بعضهما بعضا،فليس من المعقول أن يدفع الفرس العرب المسلمين إلى أحضان النصرانية وهم من ألد أعدائها منذ الصـراع الدائر بين الفرس والروم ومـن هنا فالنصرانية تهاجم الوثنـية الفارسـية،ناهيك عن إدخال بعض التعاليم الفارسية إلى التصوف[*] .(الفلسفى كما سنعلم فى موضعه إن شاء الله تعالى)فالحاصل وجود التعارض بين الحركتين .

(*) راجع الحركة الصوفية ص(٤٤) .

الرأى التاسع

إن التصــوف يــرجع للــباس الظاهرى الذى كان يرتديه زهاد الصــوفية يقول صاحب اللمع (إن اللفظ تصوف وصوفيه أطلق علــى أهله نسبة إلى ردائهم ولأنهم جماع المعارف والعلوم فلهم جمــيع الأحــوال وتتغير أحوالهم هذه دائما فلا يثبت عليهم اسم مطلقا ولهذا استحسن إطلاق اسم ردائهم عليهم للتعرف بهم)[١] وقد كــان السلف الصالح يلبسون الصوف،وقد كان لباس أهل الصفة فالصوفى كلفظ كان شائعا فى البيئة الإسلامية ثم صار علما على لمــرتديه فهم به يميزون عن غيرهم وكذا رأى ابن خلدون هذا الراى بقوله (إنهم فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفــة الــناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف.) وهذا الطريق وإن كان ينصب على الناحية الظاهرية على حد مايرى نيكلســيون ففــيه ضعف من وجهة نظره لكن الطوسى وهو من أقــدم المؤرخيــن يــؤيد هذا القول وذلك نظرا لعدم اختصاص الصــوفية بحــال دون حــال أو بمقام دون آخر إلى جانب عدم انفــرادهم بعلــم دون علم أو بمعنى أدق لانستطيع أن تقول عن الصــوفى انــه السكير لأنه فى حالة السكر أو الصاحى لأنه فى حالة الصحو أو المبسوط لأنه فى حالة البسط إذ أنه لايقيد فى

١ - راجع اللمع. ص ٤٠ ومابعدها.

مقام واحد -.(*) فاليهم يرجع جماع العلوم ولذلك كان من الأولى أن ينسبوا إلى الملبس)(*).

وكذلـك رأى القشـيرى (رحمه الله)نفس الأمر حيث يقول إن (اشـتقاق الكلمـة مـن الصوف صحيح لغويا ولكن الصوفية لم يختصـوا بلبسه والأظهر أنه لقب أطلق عليهم.) يقول صاحب عـوارف المعارف(ويقرب أن يقال لما آ ثروا الذبول والخمول والتواضـع والانكسار والتخفى والتواري كانوا كالخرقة الملقاة والصـوف ة المرمـية الـتى لايرغب فيها ولايلتفت إليها فيقال صـوفى نسـبة الصوفة كما يقال كوفى نسببة إلى الكوفة هذا ما ذكـره بعـض أهـل العلم .والمعنى المقصودبه قريب ويلائم الاشـتقاق ولـم يـزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشـفين والعـباد)(*) وعضد هذا الرأي ابن الجوزى حيث يـرى أن نسـبة الكلمة إلى الصوف من أقوى الاحتمالات وأن الاسم ظهر قبل المائتين .)(*)

(*) راجع نشأة الفكر الفلسفي د/على سامى النشار ص ٣٧ ط دار المعارف

(*) راجع عوارف المعارف ص ١٤٦

(*) نفسه ص ١٤٦

(*) راجع الرسالة ص ١٣٨ . أيضا الحركة الصوفية ص ١٤ تلبيس ابليس ص ١٤٦

المبحث الثاني

بدء التسمية

وكمـــا اختلفـــت وجهـــات أنظـــار الباحثين حول كلمة تصوف ومدلولهـــا ،تباينت أيضا حول وقت وبداية صدور هذه الكلمة واطلاقها كمصطلح على الحياة الروحية وفى هذا الإطار يطالعنا رأيان .

الأول :- يـــرى بوجـــوده قـــبل الإسلام فى الجاهلية وقد مضى ضعف هذاالرأى ومن أنصاره السراج الطوسى حيث يقول (لفظ صـــوفى قديـــم عرف قبل الإسلام وإن لم يكن يطلق حين ذاك بالمعـــنى الاصطلاحى الذى اشتهر به فى العصر الإسلامي بل كان يعنى نسبة الصلاح والفضل إليهم [١]

الثانـــي :-إن البدء التاريخى للتسمية يعود إلى عصر الصحابة والتابعين فى القرن الأول الهجري،وهذا الرأى أيضا ينقصه الدقة وذلـــك لأن لفظ الصحابى كان معروفا وقتئذ فى البيئة الإسلامية وكـــان اســـمى مـــا يمكن أن يتسمى به أحد من المؤمنين الذين اجتمعت كلمتهم على نصرة دين الله،وكذا لفظ تابع للجيل الثانى

---

[١] راجع اللمع - الطوسى ص ٤٣

مــن بعدهم ينبئ عن شدة تقواهم وتعلقهم بما كان عليه سلفهم .
وقد عضد هذا الرأى القشيرى رحمه الله وجماعة آخرون .

ويــرد الطوســى رحمه الله على من زعم أنه اسم محدث أحدثه البغداديون لأنه فى وقت الحسن البصرى رحمه الله كــان يعرف هــذا الاسم وكان الحسن رحمه الله قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه (رأيت رجلا صوفيا فــى الطــواف فأعطيــته شيئا فلم يأخذه وقال معى أربعة دوانيق فيكفينى ما معى) (*)

وجاء فى دراسات أحد المستشرقين أن أول من أطلق هذا الاسم هــو جابر بن حيان ت١٩٠هـ وكان صاحب كيمياء سحرية (لعل هــذا التعبير يرجع لتحول المواد من شئ لآخر وليس هذا غريبا الآن ..الـــخ) بيد أن هذا الرأى يعد اجحافا من هذا المستشرق ومحاولة لتأصيل هذا الفن بأصل شيعى، ولاغرابة فى هذا الأمر فهذا دأبهم وفى نفس الوقت لايمكننا أن نتجاهل النظريات الفلسفية والتى نادى بها أرباب التصوف الفلسفى كالحلول والاتحاد والتى وجدت لدى أرباب التشيع المغالى .

(*) اللمع ص ٤٢

ويـــرى ماســـنيون أن أول من لقب بالصوفية هو(عبدك الصـــوفى ت ٢١٠هـ) صـــاحب عزلة بغداد وكان هذا اللفظ معروفا فى تلك البلاد على زهاد الشيعة بالكوفة .

• ويـــرى ابن تيمية الفقيه الحنبلى فى رسالة الصوفية والفقراء أن هـــذا الاســـم (صوفى) بالافراد ذاع واشتهر بعد القرون الـــثلاثة الأولـــى للهجرة وعضد هذا الرأى الإمام أحمد وأبو ســـليمان الدارانـــى ،بينما يذكر العلامة ابن خلدون أن حاجة الصـــوفية للتمـــيز جعلتهم ينتقلون من حال الأفراد إلى حال الجماعـــات فكونوا طائفة خاصة بهم فى القرن الثانى للهجرة فالكلمة ظهرت فى أواخر القرن الثانى للهجرة،وأوائل القرن الثالـــث (أي فـــى عصـــر الانتقال من دور الزهد إلى دور التصـــوف الحقـــيقى)وكماأن اللفظ قد أطلق على متصوفة العـــراق فـــى مقابل لفظ الملامتية الذى أطلق على متصوفة خرسان وبعد قرنيين عمم وأطلق على متصوفة الإسلام ومن كل ما تقدم يظهر لنا عمق وتأصل الحياة الروحية لدى بعض المسلمين بعيدا عن التأثيرات المغايرة للإسلام(*)

(*) راجع المقدمة، ص ٣٢٨،ط دار ابن خلدون .

المبحث الثالث

ماهية التصوف

•تعطينا معاجم اللغة عدة تعريفات للتصوف منها :-

١- أخذالشئ قهرا ومن ذلك قولهم أخذته قهرا إذا اتبعته وقد ظن أن لن يدركه فلحقه وأخذ برقبته أولم يأخذفالصوفى هو المتمسك بدينه أخذا نفسه إلى ربه •

٢- العطاء بلا مقابل •

٣- الانقطاع للعبادة وخدمة البيت •

٤- العدل عن الشئ الضار قولهم صاف السهم عن الهدف عدل وصاف الشر إذا عدل عنه (*).

٥- اسم لربيط الكعبة صوفة بن حى وقد مضى الكلام عنه -•

٦- الكثافة والكثرة فمنه قولهم صاف الكبش صوفا اكثر صوفه فهو أصوف وهى صوفاء(*) فالتصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلى بالفضائل والبعد عن الرذائل تسمية للروح والجسد معا•

(*) راجع المصباح المنير ص١٣٤

(*) راجع المعجم الوجيز ص ٣٧٤

التعريف الاصطلاحي :-

يصعب الوقوف على تعريف جامع مانع لهذه الكلمة وذلك نظرا لتعدد الأنظار في هذا الفن ناهيك عن اختلاف مقامات وأحوال كل سالك فكل يعرف العلم بما عاينه وأبصره ومن هنا قد نجد للصوفي الواحد أكثر من تعريف لهذا الفن وقد أورد نيكلسون أكثر من ثمانية وسبعين تعريفا منسوبة إلى أصحابها ٠وقد شبه جلال الدين الرومي هذا الأمر ٠بفيل محجوز في حجرة أو صندوق خشبي وفي جدرانه بعض الثقوب الصغيرة فإذا نظر بعض الناس في ثقب مواجهة الخرطوم فإنهم يقولون إن بداخل هذا الصندوق أنبوبة ض خنمة عظيمة ٠٠٠٠٠والبعض الآخر ينظر في ثقب في مواجهة جانب الفيل وبطنه فيذكرون أنهم يرون بالصندوق كرة عظيمة تملؤه٠٠٠٠٠(١)فلكل وجهة هو موليها وقد دارت هذه التعريفات بين العلم والعمل والسلوك والوجدان والترقي الأخلاقي ونستأنس برأي العلامة ابن خلدون حول تنوع وتعدد تعريفات هذا الفن٠ والأمر لديه يرجع لعاملين ٠

* **أحدهما :- إن الصوفية لم يقصدوا بما ذكروه وما أثر عنهم تعريف التصوف تعريفا علميا بحيث يكون جامعا مانعا**

---

(١)- راجع الحركة الصوفية في الإسلام. ص ١٦٧ ٠

بل إنهم قصدوا التعبير عن أحوالهم ومواجيدهم المتغيرة بحسب الأحوال ٠

ثانيهما :- اتساع رقعة البلاد الإسلامية أدى لاختلاط المسلمين بغيرهم ومن هنا كان لكل وجهته ٠٠٠٠الخ)

ويقــول صــاحب عوارف المعارف (وأقوال المشايخ فى ماهية التصــوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونتناول الآن طرفا من هذه التعريفات ٠

*يقول معروف الكرخى :-

التصــوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدي الخلائق-[*]

وهذه الحقائق مغايرة للعبادات الأخرى لذا أفرد لها طريقا خاصا بها مع اعتماد السالك على نفسه فى زهده وطريقه العملي ففى هــذا التعريف نظرة فاحصة تعمل على تربية النفس ومجاهدتها للوصول لما يصبو إليه السالك ٠ (*)

(*) راجع عوارف المعارف ص ١٣٨ ، ١٤٤٠
(*) راجع الرسالة ص ١٤٩ // أيضا تذكرة الأولياء جـ١ص ٢٠١

*يقــول بشــر الحافى(الصوفي من صفا قلبه لله)(*) والتصفية تشــمل الجانبين الحسى والمعنوى،/ لتصبح النفس نقيه كفطرتها الأولــى فهــو قــائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه وتلك القوامــة مــنها قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شــهداء بالقســط)(*) وفيها تكون المحاسبة الدائمة للنفس لتصبح مراة مجلوة تسطع عليها أنوار الحق . وحول التصفية وطريقها العقى وجدنا رجال التصوف الفلسفى ينتحون هذا الطريق .يقول ســهل التسترى (الصوفى من صفى من الكدر وامتلأ من الذكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر)(*)

*يقول أبو تراب النخشى (الصوفى لايكدره شئ وويصفو به كل شى)(*)وهذا تعريف ينبئ عن سعة صدر هذا السالك وكيف أنه يملك نفسه ويؤدبها بآداب الشريعة وهو مع هذا الأمر يصفو به كل شئ فكلمته مسموعة وله احترام وتقدير من الناس .

ويقول أبو سعيد الخراز (الصوفى من صفا قلبه فامتلأ نورا) فقد أخرج منه ما يكدره من أغلال واحقاد ....الخ

(*) راجع تذكرة الأولياء فريد العطار ج١ ص ١١٢ نقلا عن ك الحركة الصوفية محمد على أبو ريان ط دار المعرفة الجامعية .

(*) سورة المائدة الآية .

(*) راجع عوارف المعارف ص ١٤٠ .

(*) الرسالة - القشيرى ص ١٣٩ .

*كذا يطالعنا قول أبى الحسن النورت ٢٩٥هـ(الصوفية قوم صفت قلوبهم عن الكدورات البشرية وآفات النفس وتحرروا من شهواتهم حتى صاروا فى الصف الأول)أي فى المقدمة ٠
*يقول أبو بكر الكتانى (التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء)[*]

*يقول الجنيد ت٢٩٧هـالصوفى الذى لايملك ولايملك فهو لايشغل نفسه بشئ من متاع الدنيا يكدره ، فهو زاهد فيها كما أنه لايحب التقيد بأمر يدخله تحت إطار التحجيم فهو مملوك لله تعالى ٠

*لما سئل ذى النون المصرى عن الصوفية فقال هم قوم أثروا الله تعالى على كل شئ فآثرهم الله على كل شئ[*] (و من يجعل الله له نورا فما له من نور) *
ويقول ايضا(الصوفى من لاينعيه طلب ولايزعجه سلب (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتكم ٠٠٠)[*-] فأرباب

(*) راجع الرسالة ص ١٣٩ ٠
(*) نفسه ص ١٣٩ ٠ * سورة النور- الآية- (٤٠) ٠
(*-) سورة الحديد الآية- (٢٣) -

الطـــريق فـــى مجـــاهدة دائمة فليلهم قيام ونهارهم ذكرا وسائر أعمالهم ٠٠٠الخ

*سئل الحصرى (أبو الحسن) ت٣٧١هـ من الصوفى عندك قال الذى لاتقله الأرض ولاتظله السماء)فهو يجوب مشارق الأرض ومغاربهـــا ســـائحا فيها كما أن الله تعالى هو الذى يقله بالأرض ويظله بالسماء لاالسماء ولا الأرض (*).

*يقول أيضا الصوفى من إذا فنى عن آفات الدنيا لم يرجع اليها ومن إذا ولى وجهه نحو الحق لم يتحول عنه وليس للحوادث أثر فـــيه ٠ فهـــو غنى بالله لايطلب أحدا غيره ولاتهزه الزخارف الدنيوية لأنه بعد قد طهر قلبه منها وكذا لايتحول عن مولاه أبدا فإذا ما أصابه شئ من الدنيا كان أشد مما كان من قبل ٠

*يـــرى ابن خلدون أن التصوف (رعاية حسن الأدب مع الله فى الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف على حدوده ٠)

****فهـــم الغرباء لخروجهم عن الأوطان ٠وهم السائحون لكثرة أســـفارهم وهم الشكنفيتية لايوائهم فى البرارى والكهوف، وهم**

(*) راجع اللمع لأبى نصر السراج الوسى تقديم د/عبد الحليم محمود طه عبد الباقى سرور ص٤٨ ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م

الجوعـــية لأنهم ينالون من الطعام قدر ما يقيم حياتهم للضرورة وهـــم الفقـــراء لتخليهم لتخليهم عن الأملاك هم الصوفية للبسهم الصـــوف ..ألخ يقول السرى السقطى عنهم أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم كلام الخرقى .(*)

وبعد

فإن المعاني السابقة تعبر عن جماع الطريق وهى فى بوتقة واحدة تنشـــد المقامـــات الـــتى يقطعها السالك للوصول إلى ا لله تعالى وتعبر عن الأحوال التى يكـــون السلكون فيها فهو تشمل الصفاء والـــزهد والمحاســـبة والصبر والتحمل والتأدب والإخلاص لله عزوجل كذلك تبين الطريق النظرى والعملي الذى يقطعه السالك وكلاهمـــا يمتدان إلى شعور السالك وتغوص فى اللاشعور لديه فيـــنعكس أثـــر ذلك على سلوكـه مع الناس ومع رب الناس وبذلك يكـــون أهلا لتلقى كرامات الإله ونفحاته قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكـــم الله) كما يلاحظ من جهة أخـــرى أن هذه التعريفات تحولت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ، نحو المعرفة العقلية بينما كانت تدور من قبل نحو الجانب العملى

(*) راجع التعرف لمذهب أهل التصوف لأبى بكر الكلاباذى ت/د عبد الحليم محمود – طه سرور ص ٢٢

فتشـــمل كل ما يدور للصوفى من انفعالات وعواطف ٠٠٠ولكن المفهوم تطور ودار بعد ذلك نحو المعرفة والوجود والعدم والفناء وبـــدأت تدخل نظريات مشوبة كالاتحاد والحلول ووحدة الوجود كمـــا سنعلم إن شاء الله تعالى ٠ فالتصوف مدرسة تربوية تحلل فـــيها الـــنفس عما يشوبها،ودراسة عملية للأخلاق والآداب التى تســـمو بالمرء،ناهيك عن كونه مطية للعروج إلى حضرة الواحد الديان بعيدا عن زلات الفكر ومتاهات العقل ٠

المبحث الرابع

النشأة التاريخية للتصوف

بين الزهد والتصوف

قلنا إن حياة الرعيل الأول حفت بالزهد وصنوفه المختلفة لكن ما الــز هد الذى قصده هؤلاء ومن تابعهم يتضح للقارئ أن الزهد الذى سار عليه السلف الصالح هو اتجاه سلوكى مضمونه التقشف والانقطـــاع عــن الدنــيا والاتجاه الى الله عن طريق العبادات وكمالها على ما وصفه الشارع ٠

أمـــا المتصوف فهو السالك للتجربة الروحية مستعملا المجاهدة والرياضـــة الروحـــية ليصل إلى مرتبة الانكشاف الإلهى حيث تتجلى وتظهرله الحقائق الخفية بعيدا عن الرسوم (العلوم الظاهرة وأهلها)٠

ويعطينا ابن الجوزى فرقا بين الزهد والتصوف فيقول (التصوف مذهــب معــروف يزيدعــن الزهد الذى لم يذمه أحد وقد ذموا التصــوف فالــزهد فرع من فروع التصوف وهذا الزهد جرى قلمه على أصحاب الأديان السابقة للإسلام ممن أرادوا القرب الى الله تعالى ٠

• ولعل هذا الأمر هو الذى دفع بعض الباحثين إلى إرجاع التصوف لأصول غربية طبقا لمبدأ التشابه الواضح بينهما فى بداية السلوك الإشاري •فقد ظهرت حركة الزهد فى النصرانية بصفة خاصة وانتشرت الأديرة المسيحية فى مصر بعد عصر الشهداء المعروف وتطور الأمر لديهم إلى أن ظهر تيار التصوف الروحى وهو ما حدث فى الواقع الإسلامي •

ولو أردنا إلقاء تفرقة سريعة بين الزهد النصرانى والإسلامي لوجدنا أن الزاهد فى الإسلام رجل عامل يسعى لكسب قوته ليحقق الإيمان وكماله بالقرب إلى الله تعالى فهو لايركن إلى الغير ولاينتظر الرزق من أحد بل يتجه إلى الله ويعتمد على نفسه فى كسب رزقه وهذا فرق ظاهرى بين زهد البراهمة والمسيحيين وزهد المسلمين •

• كذلك نجد أن حركة الزهد لها أساسيات إسلامية ثم إنه من غير المعقول أن يستعير المسلمون فى الصدر الأول وإبان انتشار الإسلام نظاما من أنظمة أصحاب الأديان الأخرى وقد وجد فيه الكفاية فى الدنيا والآخرة • ناهيك عن العدواة بين الإسلام وغيره من أرباب الديانات الأخرى ممن لايقرون به كدين خاتم

إلى جانب هذا الأمر فإن البيئة العربية فرضت على أهلها حياة الزهد والتقشف والبعد عن حياة الترف ٠

*وإلـيك طائفـة من أقواله صلى الله عليه وسلم يدعو فيها إلى الزهد

• دعـت التعالـيم الدينية متمثلة فى القرآن الكريـم وهدى المختار صـلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة الكرام وأفعالهم والسلف الصـالح ومـن سار على دربه(كل هذه الأمور) دعت إلى الزهد وسـائر المقامـات الأخرى.فقد دعا القرآن الكريم إلى التوحيد والتـنزيه المطلق والذي تبناه أرباب التصوف السنى كما سنعلم عـند الحديـث بالتفصـيل عن هذه المقامات ٠ يقول الله تعالى (لاتجعـل مـع الله إلها آخر) (*)ويقول أيضا (ليس كمثله شئ وهـو السميع البصير)(*) الخ هذه الآيات التى امتلأ بها الكتاب العزيـز إلـى جانـب هذا.دعا الذكر الحكيم الى تعميق الايمان والاخـلاص فـيه فقال (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولـو ا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم)(*)وقوله تعالى (قل

(*) سورة الاسراء الآيـة . (٢٢) ٠
(*) سورة الشورى الاية . (١١)
(*) سورة الحجرات الآية ٠ (١٤) ٠

إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك لــه -.)(١) وإلى الإيثار المعضد بالإخلاص فقال (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولاشكورا *إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا)(٢)وإلى التوبة والإنابة فقال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون .) (٣)

والــى مجــاهدة النفس وهواها فقال (فأما من طغى.وآثر الحياة الدنــيا.فــإن الجحيم هى المأوى،وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.فإن الجنة هى المأوى).

والــى الــزهد فى الدنيا واتقاء زخارفها فقال تعالى : {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يــأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنَتْ وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصــيداً كــأن لــم تغــن بــالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون}(٥).

---

(١) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢-١٦٣)
(٢) سورة الإنسان الآيتين (٩-١٠)
(٣) سورة النور الآية -٣١-
(٤) سورة النازعات (٣٧ - ٤١)
(٥) سورة يونس الآية ٢٤

وقـــال {واضـــرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح، وكان اللّه على كل شيء مقتدراً. المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً}.(*)

وقـــال {اعلمـــوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهـــيج فتراه مصفراً، ثم يكون حطاماً، وفي الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من اللّه ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور}.(*-)

وقـــال{زيـــن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب}(-*).

وقـــال : {يا أيها الناس إن وعد اللّه حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور}.(*)

(*) سورة الكهف ٤٥-٤٦
(-*) سورة الحديد الآيه ٢٦
(-*) سورة ال عمران ١٤
(*) سورة فاطر (٥)

وقـــال {ومـــا هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون}(*). والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

*ومـــن الأُحاديث الشريفة التى دعت إلى الزهد فى الدنيا وحثت على التقلل منها :-

*عـــن عمر بن عوف الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّه صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم بعث أبا عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ إلـــى البحريـــن يأتـــي بجزيتها فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصـــار بقـــدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رَسُول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم فلما صلى رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم انصـــرفوا فتعرضـــوا له فتبسم رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم حيـــن رآهـــم ثم قال: (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحريـــن) فقالوا: أجل يا رَسُول اللَّهِ. فقال: (أبشرُوا وأمِّلُوا ما يَســـركمفوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا علـــيكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

(*) سورة العنكبوت ٦٤

*وعنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (الدنـيا حلوة خضرة، وإن اللَّه تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء) رَوَاهُ مُسلمٌ.

* وعـن أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

*وعـنه رَضِـي اللَّهُ عَنهُ عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم قـال: (يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله؛ فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

* وعـنه رَضِـيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَـلَّم: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط هل مر بكِ نعيم قط فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيامـن أهـل الجنة فيصبغ في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل

رأيــت بؤساً قط، هل مر بك شدة قط فيقول: لا والله ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط) رَوَاهُ مُسلِمٌ.

*وعــن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَــلَّى اللَّــهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!) رَوَاهُ مُسلِمٌ.

* وعــن جابــر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَــلَّم مر بالسوق والناسِ كَنَفَتَيْهِ، فمر بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم) فقالوا: ما نحب أنــه لنا بشيء وما نصنع به قال: (أتحبون أنه لكم) قالوا: والله لــو كــان حــياً كان عيباً أنه أسكّ فكيف وهو ميت! وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم مر بالسوق والناس كَنَفَتَيْهِ، فمر بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصــنع به قال: (أتحبون أنه لكم) قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً أنه أسكّ فكيف وهو ميت فقال: (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) رَوَاهُ مُسلِمٌ.!

• وعــن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: كنت أمشي مع النبي صلَّى اللَّــهُ علَيهِ وَسَلَّم في حرة المدينة فاستقبلنا أحد فقال: (يا أبا ذر) قلت: لبيك يا رَسُول اللَّهِ. قال: (ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهــباً تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لديــن إلا أن أقول به في عباد اللَّه هكذا وهكذا وهكذا) عن يمينه وعنوعــن شــماله ومــن خلفه. ثم سار فقال: (إن الأكثرين هم الأقلــون يــوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا) عن يمينه وعــن شــماله وعن خلفه (وقليل ما هم) ثم قال لي: (مكانك لا تــبرح حتى آتيك) ثم انطلق في سواد الليل حتىتوارى، فسمعت صــوتاً قد ارتفع فتخوفت أن يكون أحد عرض للنبي صلَّى اللَّهُ علَيهِ وَسَلَّم فأردت أن آتيه فذكرت قوله (لا تبرح حتى آتيك) فلم أبــرح حتى أتاني. فقلت: لقد سمعت صوتاً تخوفت منه فذكرت لــه. فقــال: (وهل سمعته) قلت: نعم. قال: (ذاك جبريل أتاني فقــال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة) قلت: وإن زنى وإن سرق قال: (وإن زَنى وإن سرق) مُتَّفَقٌ علَيهِ. هذا لفظ البخاري

لقــد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار وإمــا كســاء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الســاقين، ومــنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته> رواهُ البُخَارِيُّ.

• وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال جاء رجــل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فقال: يا رَسُول اللَّهِ دلني علــى عمل إذا عملته احبني اللَّه وأحبني الناس. فقال: (ازهد في الدنــيا يحــبك اللَّه، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

* وعــن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: توفي رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّــهُ عَلَيهِ وَسَلَّم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قولها (شطر شعير) : أي شيء من شعير. كذا فسره الترمذي.

- • وعــن عمــرو بن الحارث أخي جويرية بنت الحارث أم المؤمنيــن رَضِــيَ اللَّهُ عَنها قال: ما ترك رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَـيهِ وَسَـلَّم عند موته ديناراً، ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

● وعـن خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: هاجرنا مع رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم نلتمس وجه اللَّه تعالى فوقع أجرنا على اللَّـه؛ فمـنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً؛ منهم مصعب ابن عمـير رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بهـا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه؛ فأمرنا رَسُـول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أن نغطي رأسه ونجعل على رجلـيه شيئاً من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها> مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

● وعـن عـبد اللَّـه بـن الشخير -بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين- رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ أنه قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَـلَّم وهو يقرأ: {ألهاكم التكاثر} (التكاثر) قال: (يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبستفأبليت، أو تصدقت فأمضيت !) رَوَاهُ مُسلِمٌ.

• وعــن عــبد اللّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال نام رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم على حصير فقام وقد أثر في جنبه. قلنا: يا رَسُــول اللَّهِ لو اتخذنا لك وطاء. فقال: (ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنــيا إلا كراكــب اســتظل تحت شجرة ثم راح وتركها) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح.

•وعــن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: لم يأكل النبي صلَّى اللَّهُ عَلَــيهِ وَسَــلَّم على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

• وعــن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: خرج رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ذات يوم أو ليلة فإذا بأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّــهُ عَنهُما فقال: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة) قالا: الجوع يا رَسُول اللَّهِ. قال: (وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما! قوما) فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس فــي بيته. فلما رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً. فقال لها رَسُول اللَّــهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (أين فلان) قالت: ذهب يستعذب لنا الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رَسُول اللَّهِ صلى رَسُول اللَّهِ

صَـلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكـرم أضيافاً مني. فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقـال: كلـوا. وأخـذ المدية فقال له رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَـلَّم: (إيـاك والحلوب) فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا. فلما أن شبعوا ورووا قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما: (والذي نفسي بيده لتسألنُ عن هذا النعيم يوم القيامة! أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم) رَوَاهُ مُسلِمٌ.

- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال، قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) مُتَّفَقٌ عَلَيه.
قال أهل اللغة والغريب مغنى (قوتا) : أي ما يسد الرمق.

*وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: لقد رأيتنـي وإنـي لأخر فيما بين منبر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَـلَّم إلـى حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنها مغشياً علي فيجيء الجائـي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون، ما بي إلا الجوع. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

الـــى جانب الخوف والرجاء والتوكل والاحسان ٠٠٠٠ كل هذه المعـــانى السامية والأخلاق الرفيعة اعتبرها الصوفية أساسا لهم فـــى انطلاقاتهم وسيرهم بعيدا عن التأويلات الفاسدة التى أرادها أعـــداء الإسلام ففى القرآن الكريم وهدى النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكثيرة والخيرة إن شاء الله رب العالمين .

إلـــى غـــير ذلـــك من الأحاديث الشريفة التى حثت على الزهد والقناعة بعطاء الله تعالى فاتخذها أرباب التصوف سبيلا لهم فى سلوكياتهم

قواعد التربية فى المنهج الصوفى
كما يصورها العلامة القشيرى ٣٧٦ ه

أولا :، اتخاذ الشيخ [٦]

أول مايجب على مريد الطريق الصوفى أن يتخذ شيخا له ليدله على الطريق يقول عبد الكريم القشيرى ((ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فان لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان)) وهذا النص قد كتبه سنه ٣٨٧هـ وهو يدلك على أن قضية وجوب اتخاذ الشيخ قضية قديمة واتخاذ الشيخ قد تفسر بأن لها سندا من الكتاب والسنة فى أن الرسول علم أصحابه والأصحاب علموا التابعين وهكذا ،ولكن هذا استدلال من لايعلم،ماذا يعنى الشيخ فى الطريق الصوفى أن الشيخ

---

[٦] راجع الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق ٤٨٧ طدار الحرمين الخامسة ١٩٩٣م

يعنى شيئا آخر تماما كما سنأتى مواصفات الشيخ والشــروط والاداب التى يجب مراعاتها معه .[٧]

والمهم هنا أن نعلم أن كون من لم يتخذ شيخا لايفلح أبــدا ليس بصحيح فمن الممكن أن يهتدى المسلم بسماعة للقــرآن وقرأته للحديث من شيخ أو طالب علم ، أو كتاب ولايشــترط فى الهداية الالتزام بشيخ معين بل لو سمع المسلم من عشرات الشيوخ لكان هذه أحكم له وأعلم وهكذا كان ســلفنا الصـــالح يسعون الحديث النبوى من أهله والقواعد العربية من أهلهــا والتفسير من أهله وهكذا ....

وأما فى الطريق الصوفى فيجب عليك أن تتخذ شيخا واحدا لاتحيد عنه ولاتلتفت إلى غيره بل لايجوز أيضا طلب العلــم من غير أهل التصوف مطلقا .

[٧] راجع الرسالة القشيرية .ابى القاسم النيسابورى ٥٧٨ -٥٨٢ المكتبة التزوفيقة .

يقول القشيرى بعد أن قرر فى زعمه أن طائفة التصوف هم أهل الحق وأن علومهم أشرف العلوم(فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذى له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة" .

وقد قرر شيوخ التصوف من أهل الطرق الحديثة أن من ترك طريقتهم إلى طريقة أخرى أبتلى بسوء الخاتمة" وهكذا فقد كان رجال التصوف قديما يأمرون فقط بمجرد الانتساب والسلوك فى الطريق الصوفى أيا كان الشيخ أو الطريقة ، المهم أن يكون السالك (الموفق) حسب زعمهم سائرا فى هذا الطريق غير متلفت إلى غيره من مذاهب العلماء والفقهاء الذين يصفهم المتصوفه دائما بأنهم علماء رسوم وطلاب دنيا وتجار ..... ألخ الأوصاف التى يطلقونها على علماء

الشريعة لتنفير الناس منهم وانظر مثلا إلى مايقول القشـــيرى فى النفير من سماع المريد إلى كلام غير كلام المتصوفه :ـ(١)

واما المريد فعليه آداب يجب مراعاتها ٠

((ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من لـــيس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفى إلـــى مـــذهب مـــن مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجـــه جهلهـــم بمذاهب أهل هذه الطريقه فإن هؤلاء حججهم فـــى مســـائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أربـــاب العقـــل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة
فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور ، والذى للخلق من المعارف ومقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال والناس أهل الاستدلال ٠

(١) راجع الرسالة القشيرى .

ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن يـلازم موضـع إرادته وأن يسافر قبل أن تقبله الطريق وقب الوصول بالقلب إلى الرب فإن السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولايصـل أحد منهم الى ماكان يرجى له إذا سافر فى غيـر وقتـه وإذا أراد الله بمريد خيرا ثبته فى أول إرادته وإذا أراد الله بمريـد شراً رده إلى ماخرج عنه من حرفته أو حالتـه إذا أراد الله به مريد محنه شرده فى مطارح غرته•هذا إذا كان المريد يـتلح للوصول•فأما إذا كان شابا طريقته الخدمه فى الظاهر الـنفس للفقراء وهو دونهم فى هذه الطريقه رتبةً فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر فينقطعون فى الاسفار•

وغاية نصيبهم من هـذه الطريقـة حجـات يحصـلونها وزيارات لمواضع يرتحل اليها ولقاء شيوخ بظـاهر سـلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما فى هذا الباب مـن السـير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لاتـؤدهم الدعـة الـى

ارتكاب محظور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعه كان في معرضا للفتنة .

. وإذا توسط المريد جميع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جدا وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمه للأصحاب وترك الخلافه عليهم والقيام بما فيه فقير والجهد ان لايستوحش منه قلب شيخ

ويجب أن يكون في صحته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولايكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقا واجبا ولايرى لنفسه واجبا على أحد ويجب ألا يخالف المريد أحدا وأن علم أن الحق معه يسكت ويظهر الوفاق لكل واحد وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراه فإنه لايجئ منه شئ

وإذا كان المريد فى جمع من الفقراء إمـــا فـــى ســـفر أو حضر فينبغى أن لايخالفهم فى الظاهر لافى أكـــل ولاصـــوم ولاسكون ولاحركة، بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله عز وجل وإذا اشاروا عليه بالأكل مثلا يأكل لقمـــة ولقمتـــين ولايعطى النفس شهوتها٠

وليس من أداب المريدين كثرة الأوراد بالظاهر فإن القـــوم فى مكابدة إخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفى الغفله عن قلوبهم لا فى تكثير أعمال البر الذى لابد لهـــم مـــن اقامـــة الفرائض والسنن الراتبة فأما الزيادات من الصلوات النافلـــة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم ورأس مال المريد الاحتمال عن كل أحد بطيبة الـــنفس وتلقـــى مايتســـقبله بالرضـــــــــا والصبرعلى الضر والفقر وترك السؤال والمعارضـــة فـــى القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس فالواجب أن يحصـــل

شهوته من حيث يحصلها الناس مـن كيـد اليمـين وعـرق الجبين.

وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد فى خلوته مالا يجده قلبه إما فى النوم وإما فى اليقظـة أو بـين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهد ممـا يكـون نقضا للعادة فينبغى أن لايشغل بذلك البتـة ولايسكن إليـه ولاينبغى أن ينتظر حول أمثال ذلك فإن كل شواغل عن الحق سبحانه ولابد له فى هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغا عن ذلك.

ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيـره أمره ويصغر ذلك فى عينه فإن ذلك كله أختارات والمسـاكنه اليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتهـا وليجعـل همته فوق ذلك وأعلم أن اضر الاشياء بالمريد استئناسة بمـا يلقى اليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته بـأنى

خصصتك بهذا وأفردتك عن إشكالك أفانه لو قال بترك هـذا فعن قريب سيختطف عن ذلك مما يبدو لـه مـن مكاشـفات الحقيقة وشرح هذه الجملة بإثباته فى الكتب معتذر ومن أحكام المريد إذا لم يجد ما يتأدب به فى موضعه أن يهاجر الى من هو منصوب فى وقته لارشاد المريدين ثم يقيم عليه ولايبرح عن سدته إلى وقت الإذن ٠

وأعلم أن تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب فلولا معرفة رب البيت ماوجبت زيارة البيت والشأن الـذين يخرجون إلى الحج من هؤلاء القوم من غير إشارة لشـيوخ فهى بدلالات نشاط النفوس فهم متوسمون بهذه الطريقه وليس سفرهم على أصل والذى يدل على ذلك أنه لايزداد سفرهم إلا.. وتزداد تفرة قلوبهم فلو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطـوه لكان أحظى لهم من ألف سفرةومن شرط المريد إذا زار شيخا أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمه فإن أهلّ الشـيخ لشئ من الخدمة عد ذلك من جزيل النعمة.

• عصمة المشيخ : .

ولاينبغى للمريد أن يعتقد فى المشايخ العصمة بل الواجب أن يذرهم وأحوالهم فيحسن بهم الظن ويراعى مع الله تعـالى حده فيما يتوجه عليه من الامر والعلم كافيه فى التفرقة بـين ماهو محمود وما هو معلول ٠

وأما أداب المريد فى السماع فالمريد لاتسلم له الحركة فى السماع بالاختيار البته فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكـن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر فإذا زالت الغلبة يجب عليه القعود والسكون فإن استدام الحركة مستجلبا للوجد من غيـر غلبة وضرورة لم يصح فإن تعود ذلك يبقى متخلفا لايكاشف بشىء من الحقائق فغاية أحواله حينئذ أن يطيب قلبـه وفـى الجملة أن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص مـن حالـه مريدا كان أو شيخا إلا أن يكون بإشارة من الوقت أو غلبـة تأخذ عن التمييز فإن كان مريدا أشار عليه الشـيخ الحركـة فتحرك على إشارته فى بأس إذا كان الشيخ من له حكم على أمثاله وأما إذا اشار عليه الفقراء بالمساعدة فـى الحركـة فيساعدهم فى القيام وفى آداء مالايجد منه بدأ مما يراعى عن

الاستيحاش لقلوبهم ثم إن صدقه فى حاله يمنع قلوب الفقـــراء من سؤالهم عند المساعده معهم ٠

من شروط التصوف

بعد أن انتهينا من قواعد الطريق ننبه إلى ما ذكره صاحب الإشارات فى الشيخ والذى رأى أن يكون مخلصا صادقا قد انتهج الصراط المستقيم وأن يكون سالكا يجب على المريد أن يتأدب بشيخ "..... "

ولابد فى التصوف من شرط جوهري هو : التأثير الروحي ، أو بتعبير أدق "" البركة"" وهى لا تتأتى إلا بواسطة شيخ ومن هنا كانت السلسلة وهل السلسلة إلا بركات ، تنتقل من شـــيخ إلى مريد يوشك أن يصبح شيخا ، فيؤثر بدورة فى مريـــد أو مريدين

ونختم[1] هذه الكلمة بملاحظـــة جوهريـــة ، تتعلـــق بطبيعـــة التصوف وهى : أن التصوف ليس عملا علميـــا ، ولابحثـــا نظريا ، إنه لايتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرســـية ، بل أن ماكتبه كبار المشايخ الصوفية أنفســـهم لايســـتخدم إلا

---

[1] المنقذ من الضلال - الغزالى – ت د عبد الحليم محمود ١١٦

كحافز مقو للتأمل والإنسان لايصير بمجرد قراءتة متصوفا ، على أن ماكتبه كبار الصوفية لايفهمه إلا من كان أهلا لفهمه ، ولاجل أن يسير الإنسان فى طريق التصوف لابد له من:ـــ

١) استعداد فطرى خاص لايغنى عنه اجتهاد أو كسب

٢) الانتساب إلى "" سلسلة"" صحيحة إذ أن البركة التـــى تحصل عليها من الانتساب إلى السلســـلة الصـــحيحة هى الشرط الإساسى الذى لايصل الإنسان بدونه الى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها .

٣) ثم يأخذ المتصوف ، الطيب القطره ، الـــذى باركـــه شيخه فى الجهاد الاكبر ، التأمل الروحى وفى الذكر أى أستحضار الله فى كل مايـــأتى ومايـــدع ، وفـــى تركيز الذهن فى الملأ الأعلى فيصل موفقا من درجة إلى درجة ، حتى يصل إلى أعلى الدرجات ، وهـــى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت فيصبح ربانيا ذلك هو الصوفى الحقيقى (٢)

[٢] المنقذمن الضلال - الامام الغزالى - تحقيق د عبد الحليم محمود

خرقة المشايخ الصوفية[٣]

لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم

لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم "١" من المريد للشيخ نفسه والتحكيم سائغ فى الشرع لمصالح دينوية ، فماذا ينكر الناس المنكر للبس الخرقة على طالب صادق فى طلبه يقصد شيخا يحسن ظن وعقيدة ، يحكمه فى نفسه لمصالح دينه يرشده ، ويهديه ، ويعرقه طريق المواجيد ويبصره بأفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو قيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه ،استصوا ه فى جميع تصرفاته ، فيلبسه الخرقه إظهارا للتضرغ فيه فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله وحكم رسوله واحياء سنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الادلة التى ذكرها صاحب العوارف فى بيان تأصيل لبس الخرقة ما كان من أمر المبايعةبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم فعن (عباده بن الوليد الصامت ، قال أخبرنى أبى عن أبيه قال : "" بايعنا رسول الله

[٣] عوارف المعارف السهروردى ت دعبد الحليم محمود د محمود بن الشريف ط دار المعارف

صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعه فى العسر واليسر والمنشط والمكره وأن لاننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق حيث كنا ولانخاف فى الله لومة لائم ""

ففى الخرقة معنى المبابعة ، والخرقة عتبه الدخول فى الصحبة ، والمقصود الكلى هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد كل خير .

وروى عن أبى يزيد أنه قال :(من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .

ووجه لبس الخرقه من السنه مأخبرنا الشيخ أو زرعه عن أبيه الحافظ أبى الفضل المقدسى ، قال : أخبرنا ابو بكر أحمد بن على ن خلف الأديب الينسابورى قال : أخبرنا الحاكم ابو عد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال: أخبرنا محمد ن اسحق قال : أخبرنا أبو مسلم ابراهيم بن عبد الله المصرى ، قال حدثنا أو الوليد قال : حدثنا أسحق بن سعيد قال : حدثنا أبى قال : حدثتنى أم خالد بنت خالده قالت : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال من ترون أكسو هذه ؟ فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتونى بأم خالد قالت : فاتى بى ، فألبسنيها بيده

فقال : أبلى وأخلقى ، يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى علـــم فى الخميصة أحمر وأصفر ويقول : ياأم خالد هــذا ســناء – والسناء هو الحسن – بلسان الحبشه ٠[٤]

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيرى ، عن شيخه أبـــى علـــى الدقاق انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانهـــا تورق ولاتثمر وهو كما قال : ويجوز أن تثمر كالاشجار التى فى الاوديه والجبال ولكن لايكـــو لفلكهتهـــا طعـــم البســـاتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع أخر يكـــون أحســـن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد أعتبر الشرع وجود التعليم فى الكلب المعلم وأحل مايقتله ، بخلاف غير المعلم ٠

وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون (من لم يـــرى مفلحـــا لايفلح) ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وأصحاب رسول الله أسوة حسنة تلقوا العلـــوم والاداب مـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى عن بعض الصحابة : علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الحزاءة ٠

---

[٤] الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى

فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتـأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسـراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقن بأن المريد وويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال ، وينتقل الحال من الشـيخ الـى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال ، ولايكـون هـذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفنى فى الشيخ بترك اخيار نفسه

فبالتأليف الإلهى يصير ين الصاحب والمصحوب امتزاج " وارتباط بالنسبة الروحيه والطهاره الفطريه ، ثم لايزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيارمع الشـيخ إلـى تـرك الاختيار مع الله تعالى ، ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ .

ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ ، الخرقـه مقدمه ذلك .

كما يعد لبس الخرقة السم القاتل للمريـدين إذ يحـذر عليـه الاعنراض على شيخه ويزيل اتهام الشيخ عن باطنـه فـى جميع التصاريف .

فالشيخ عنده برهان لما هو مخالف فى ظاهره الأمر للمريد أو لايفقه مراده وحكمته ويستدلون على أمرهم بمـا كـان مـن موسى عليه السلام والخضر وإنبائه بما كان من الأمور ٠

فالمريد صاحب الخرقة يعد تسليمه للشيخ تسـليما لله تعـالى ورسوله٠

وللخرقة حقوق مطلوبه من المريـد يعرفهـا الشـيخ إياهـا ٠فالشيخ باب واسطة فتحه الله تعالى إلى جناب كرمـه فـلا يتصرف الشيخ فى المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ويستغيث إلى الله تعالى لحوائج المريد كما يستغيث لوائج نفسـه ومهـام دينه ودنياه

وإذا ارتبط المريد بالشيخ فعليه ألا يغادره إلا بإذن فأى أمر جامع أعظم من أمر الدين فيفطم المريد بعلم الشيخ وعند ئـذ يستقل بنفسه وهو مرادهم بفتح الله تعالى للمريـد المسـتقل ابواب الفهم

والإفمن فارق قبل أوان فطامه وذلك بعلم الشيخ رجـع الـى الدنيا وينالهُ الإعلال ويلزمه ما يلزم المريض ٠٠٠٠٠الخ

والخرق تدور فى إطارين

احدهما:- خرقة الإرادة والثانية خرقة البركة

فاما الأولى :-فهى للمريد الحقيقى ،والثانية للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم،ويعد لبس الخرقة تعبيرا عن النفس فإن كـــان فيها هوى فعليه أن يكبح هذا الامر وما كان من أمر الشـــيخ الناظر فى رأيهم إلى بواطن الأمور يستطيع أن يتبين المريـــد الصادق من غيره من خلال هيئته ٠ فليبسه الشيخ ما يخـــرج النفس من عاداتها وهواها ٠

فالشيخ أعلم وأدرى بما يصلح لمريده وله إشراف على البواطن وتنوع الاستعدادات فيأمر كل مريد من أمر معاشه ومعاده بما يصلح له ٠

فلبس الخرقة أو القميص ما هو إلا تبشير للمريد بحسن عناية الشيخ به ٠

هذا ما كان من المريد وأما المتبرك فلا يطالـــب بشـــرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة المريـــديين لتعود عليهم بركتهم ويتأدب بآدابهم فان فعل رقى الى مرتبـــة الارادة فعلى هذا فخرقة التبرك مبذولة لكل طالب وخرقـــة الإرادة مممنوعة إلا من الصادق الراغب ٠

وأما عن تحديد لون الخرقة فقد استحســـنوا اللـــون الأزرق (لانه أرفق للفقير ولكونه يحمل الوسخ ولا يحوج إلى زيـــادة

الغسل ٠٠٠) وأن غير الشيخ للمريد فليس لأحد الاعتــراض عليه كما يجوز للسيخ أن يلبس المريد الخرق على دفعــات على قدر ما يتلمح من المصلحة للمريد وذلك كله مداوة للنفس من أدرانها ٠٠٠٠٠الخ ٠

وينتهى صاحب العوارف إلى هذه النتيجة فيما يتعلق بلـــبس الخرقة وقد كان طبقة من السلف الصالحين لايعرفون الخرقة ولا يلبسونها المريدين ٠ فمن يلبسها فله مقصد صحيح وأصل من السنة وشاهد من الشرع ، ومن لايلبسها فله رأيه وله فى ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشــايخ محمولــة علـــى السداد والصواب ولاتخلو عن نية صالحة والله تعالى ينفع بهم وبآثارهم إن شاء الله تعالى ٠[٥]

[٥] عوارف المعارف ـ السهروردى تحقيق د عبد الحليم محمود د محجمود بن الشريف ج١ ص ١٧٨ ط دار المعارف

بين الفقهاء والصوفية

*لم تبدو التفرقة بين التصوف والفقه واضحة المعالم فى طورها الأول اذ تمثل الفقهاء أنفسهم هذه الحقيقة الصوفية فى سلوكهم وظهر اثره فى تلاميذهم ٠

فالتصوف الاسلامى قد اثمر ثمراته من القران والحديث والنظريات الفلسفية المنحرفة لم تقف على قدميها الا فى عهد انهيار الفكر الاسلامى الخالص وضياع السلطان السياسى وتمزق الخلافة كما لم تثمر ثمارها الا فى عهد الصليبين والقرامطة والتتار [١] ٠ فهذا الحسن البصري ت ١١٠هـ وأبن مكحول ت ١١٣هـ وجعفر الصادق ت ١٤٨هـ وغيرهم فقهاء إلى جانب سلوكهم فى الزهد والتنسك والحياة الروحية التى عرفوا بها وكان يجرون الأحكام على ظاهرها ويعملون

---

[١] المنهج الغربى اخطائه وشبهاته والشبهات المثارة حول الإسلام أنور الجندي ص ٧٠

بمقتضاها دون فضل بين ظاهر الشريعة وباطنها • فالشريعة كما يقول صاحب الرسالة (امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة بالحقية فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة تان تعبده والحقيقة ان تشهده والشريعة قيام بما امر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى زواظهر ....[٢] ثم بدأ طور التفرقة يظهر جليا باعتبار ان وراء الشعائر امورا خفية لا يفهمها الا أرباب التصوف وتلك هي الحقيقة •

فهذا هو أبن منبه (ت ١١٠هـ = ٧٢٨م) يكتب الى أبن مكحول قائلا له : انك أمرو قد أصبت فيما ظهر من علم الإسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الإسلام عند الله

---

[٢] الرسالة ص ١٥٥

محبة وزلفى وأعلم أن أحدى المحبتين سـوف
تمنع منك الأخرى ٠

تعتبر هذه أول إشارة الى التفرقة بين الظاهر والباطن ، هذه التفرقة التى عرفت باسم " الشريعة والحقيقة وأن الحقيقة هى المعنى الباطن ، المغزى الحقيقى لاداء الشريعة "

"" كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق وطالب الخلق أنفسهم بظواهر الشرع ، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ""

ومما قرره الصوفية فى شأن العبادات على سبيل المثال نراهم يقسمون الصوم الى درجات

***صوم العوام** : وهو الصوم عن المفطرات الشرعية بكف البطن والفرج والشهوات

***صوم الخواص** : وهو صوم الجوارح عن الآثام

***صوم خواص الخواص** : فيكون بكف القلب عـــن الخطرات الذميمة

كان منشأ التصوف من البصرة ، وكان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهـــاد ، كما كان فى الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم و ماله فيه اجتهاد ،ولكن الصوفية بمســـلكهم هـــذا وقد فصلوا مابين ظاهر الشريعة وباطنها قد فتحوا لمن يعدهم الباب واسعا حتى بعدت الشـــقة مـــابين الأمرين وانتهى الآمر عند بعض الصوفية الى إلغاء الشريعة وإسقاط التكاليف الدينية وهـــو أمـــر جـــد خطير فى الإسلام (٣)٠

---

[٣] التصوف الاسلامى بين انصاره وخصومه أد المراكبى ص ١٠٥

الصوفية واهل الحديث

لاشك ان نظر الصوفى دائما أخص من نظر المفسر للقرأن أو الشارح للحديث الشريف لان كل منهما يعتبر الحكم والمعنى ليس الا ، بينما يزيد الصوفى على ذلك بالإشارة الى معان روحية هى محض فيض الهى لايصل اليه الا أهل الله وخاصتة من الناس •

وعلى ذلك يرى الصوفية أن ماأجهد فيه المفسرون وأهل الحديث أنفسهم من بيان المعنى ليس هو غاية الادراك أو منتهى المراد لله ورسوله من وراء اللفظ أوالنص بل هناك معنى أدق وأحق يرمز اليه ظاهر اللفظ الا ان لايعلمه الا المصطفون الاخيار من أهل الله وخاصته . ومن ثم فان اشارتهم تعتبر استكمالا لما عند علماء التفسير والحديث من المعانى ، بل هى لب ماعندهم ، وروح مالديهم •

*واذا كان الأوائل قد التزموا فى منهجهم الاشارى بحيث لايعرض اصلا من كتاب الله ولايخرج عن المعهود فان هذا لم يلبث بعد ان اصابته يد التغيير على يد القائلين بالفصل بين الحقيقة والشريعة فهم يقولون ما يشاؤن ويفسرون كما يرون دون حجر لأحد فتلك الحقيقة لايصل اليها الا الاخيار منهم فقط لانهم اهل الحقيقة ومن هنا أصبح الباب واسعا لشطحات (الصوفية وتجاوزاتهم لمعنى الرمزية الظاهر والباطن وبين الرمز والمرموز اليه صله ومناسبة ولهذا انطلق الصوفية بلا حدود ولاقيود يقولون مايشاؤن بحجة انها اشراقات وفيوضات مع أنها لاتعدو أن تكون نظريات فلسفية اشراقيه أو غنوصية)[٤] ، وقد مارس

---

[٤] تأثر الاسلام بحكم الترجمات ....) بالعناصر الغنوصية المختلفة والتى كان هدفها القضاء على هذا الدين ففى الفلسفة اليونانية وجدنا مذاهب تقول بالشمول وان جميع اوجه الطبيعة مظاهر للاولوهية وان الوجود كله فى الحقيقة هو الله المذهب الايونى

الصوفية المتأخرون حرية أكبر مع كتـــاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكـــان لذلك خطره فى الإسلام ولاشك . [٥]

كذلك امتد الغنوص الهندى والفلسفة الهندوكية ليعلنـــان وحدة الموجود القائمة على التناسخ واعلنـــت البوزيـــة معها النرفانا وهو ما يوصف بفقدان الشعور بـــتخلص النفس من الام اتصالها البدن وهو ما اســـماه اربـــاب التصوف بالفناء وقالوا انه تجرد النفس مـــن رغباتهـــا وميولها وبواعثها حتى تتعطل اراتهـــا وتمـــوت وفـــى سبيل هذا الأمر لاباس بتعذيب النفس ...الـــخ مـــن النظريات المستمدة من فلسفات الهند ومصر واليونـــان المنهج الغربى اخطائه وشبهاته والشبهات النثارة حول الاسلام اور الجندى ص٢٢٧ .

[٥] التصوف الاسلامى بين انصاره وخصومه ص ١٠٩

يتمثل المعراج الروحى عند الصوفية فى المقامات والأحوال . فهما أشبه بسلم يرتقى بصحابه كلما هم بصعوده وإذا ما صادفه فى صعوده عقبات فإنها تحول دون ارتقائه وقد تحول المادة بينه وبين هذا الأمر ،بمعنى أنه يرتقى بروحه أو بنفسه الطاهرة بين يدى الله قاطعا فى سبيل ذلك طريقا من المجاهدات والتى تختلف من سالك لاخر، بيد أنها تدور في إطار الكسب،وهذه تعرف بالمقامات أو بالدرج الذى يقف عليه السالك،فقد يجاوز مقام التوبة وقد لايجاوزه وقد يصل إلى مرتبة عالية.وهو فى معراجه الروحى تتوالى عليه نفحات الإله فيظهر ذلك عليه أحوالا ومواهب منه تعالى ومن أجل هذا عقدت هذه السطور التالية فى المقامات والأحوال قطبى العروج الروحى عند أرباب التصوف.

. المبحث الخامس .

السلم الروحى عند الصوفية

المقامات والأحوال

يـــرى الصوفية من أرباب التصوف السنى أن طريقتهم موصلة إلى جناب الحق بيد أن هذا الطريق تكتنفه مجاهدات عديدة تدور وهـــى بدايـــة السلك يقول القشيرى (اعلم أن لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة)[١]

وهـــذا الأمر يقتضينا الوقوف على مفهوم المجاهدة والتى تعنى عند علماء اللغة :-(بذل الوسع والجهد والمشقة فهو بالضم (فى الحجـــاز وبالفتح الوسع والطاقة وقيل المضموم الطاقة والمفتوح المشقة ٠٠ ألخ والجهد بالفتح النهاية والغاية وهو مصدر من جهد فى الامر جهدا من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته فى الطلب وجهده الأمر والمرض جهدا أيضا إذا بلغ منه المشقة ومن جهد الـــبلاء ويقال جهدت فلانا جهدا إذا بلغـت مشقته ٠٠ وجاهد فى ســـبيل الله جهـــادا واجتهد فى الأمر بذل وسعه وطاقته فى طلبه ليبلغ مجـــهوده ويصل إلى نهايته)[٢]

---

(1) الرسالة – ص ٥٢ ط دار الحلبى

(2) راجع المصباح المنير – الفيومى ص ٤٤

والمجاهدة عند الصوفية أُصلها وملاكها كما يرى القشيرى ت ٤٦٥هـ(فطم النفس عن المألوف وإحلالها بعقوبة الذل بما يذكرها من حقارة قدرها وخساسة أُصلها وقذراة فعلها)[٣] فالمجاهدة تهدف لتصفية النفس من العلائق والأدران التى قد تتعلق بها لتصل لمرتبة النفس الصافية حتى تصبح أهلا لتلقى نفحات الإله تعالى .وهذا الانطلاق يوافقه كما يرى أرباب المجاهدة قوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) [٤]

وتلك هى مرتبة الإحسان التى عناها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[*]

- يقول أبو حفص السهروردى عن هذا الطريق ومعقبا على الآية (يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر تتأجج فيهم نيرات

---

(3) الرسالة ، ص ٥٣ ״
(4) سورة العنكبوت الاية ״ (٦٩)
(*)

الطلب وتتحجب دونهم لوامع الارُب يتقلبون فى رمضاء الإرادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الإنابة التى شرطها الحق سبحانه لهم وجهل الهداية مقرونة بها [٢]

*وهكذا يزكى السالك نفسه ويطهرها ملتجأ فى ذلك لحمى الإله وبذلك يسمو من عالم المادة إلى عالم الروح حيث تشرق فيه النفس على الملا الأعلى فتفيض عليها نفحات الإله [*]

*ويعطينا الامام الغزالى رحمه الله انطباعا عن المجاهدة وكيفيتها فيقول إن ذلك يتمثل فى تصفية النفس وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم .)[*] ومن المعروف أنَّ القدوة مثل أعلى لكل من يريد العلو والرفعة خاصة إذا كانت تتعلق برسولنا صلى الله عليه وسلم والسالك لهذا الطريق عليه أن يتجرد وكذا أن يتفرد فأما تجرده فراجع إلى الظاهر والباطن والأول للأعراض والثانى للأعواض وأمّا انفراده فراجع إلى لكون أفعاله لله وحده فلا يكون فيها رؤية نفس ولامراعاةخلق ولامطالعة عوض)[١]

---

(2) راجع عوارف المعارف ت د/عبد الحليم محمود . على بن الشريف ص ١٣٥ ط دار المعارف

(*) راجع المنقذ من الضلال ت /عبد الحليم محمود ص ٢٥٣ ط دار المعارف

(*) راجع احياء علوم الدين الغزالى ص ٣٤

(1) راجع التعرف لمذهب اهل التصوف الكلاباذى ص ١١١

وإذا تطهـــر وتخلص السالك من الموانع إلى تسد طريق العروج إلـــى عـــالم الروح يصبح مؤهلا لتظهر علـيه أحوال العارفين وهـــذه الموانع كما بيناها الإمام الغزالى تتمثل فى (المال والجاه والتقليد والمعصية) •

وإنمـــا يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل. وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر قلوب الخلق عنه. وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب وأن يصدق بمعنى قوله: «لا إله إلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله» تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدقه بـــأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفـــه تقلـــيداً، فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة، فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً.

وأمـــا المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظـــالم وتصـــميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وإرضاء الخصوم، فإنّ من لم يصحح التوبة ولـــم يهجر المعاصي الظاهرة، وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشـــفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهـــو بعد لم يتعلم لغة العرب، فإنّ ترجمة عربـــية القرآن لا بد من تمن تقديمها أوّلاً ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه، فكذلك لا بـــد مـــن تصـــحيح الشريعة أوّلاً وآخراً ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها.(*)

• وقـــد يطول الطريق وقد يقصر على أناس وذلك راجعه لالتزام المـــريد بمخالفـــته صفات النفس الشهوانية فرب شخص قد كف أُكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة .

كما يلزم السالك نفسه بالتزام الخلوة والصمت والجوع والسهر تأديـــبا للنفس ودفعا لها عن الواسوس .وإذا كان الطريق محفوفا بكـــل هذه المخاطر التى تقف حجرعثرة دون روج السالك فعليه

(*) راج الاحياء ج٣ ص ١٠٩

أن ينقل من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال ليمضى فى معراجه .

المقامات والأحوال

تمثل المقامات الروحية والتى يقطعها السالك وصولا لربه تعالى جماع التربية الخلقية والزهدية للصوفى .(*)ومرجع هذا الأمر إلى حال السالك الدائم وعلمه بإطلاع الله تعالى على سريرته فعندئذ يراقب خواطره المذمومة التى تشغل قلبه فيطهرها منه كما أنه فى حال القرب يخشى فوات هذه المنزلة فيكثر من فعل الخيرات ولايزال العبد متقلبا بين الخوف والرجاء قاصدا من ذلك نيل المقام الأعلى.وصدق الله إذ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ..)(١) فهو يريد أعلى مقربة منه تعالى وفى نفس الوقت يخشى فواتها ومن هنا فهو دائم الدعاء وصدق المولى إذ يقول فى حق أنبيائه (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لناخاشعين)(٢)

(*)الصوفية فى الإسلام نيكلسون ت نور الدين شريبة ص٢٣ ط/م الخانجى ١٩٥١
(١)- سورة الاسراء الآية - ٧٩ / ٢- سورة الانبياء الآية (٩٠)

**المقام :هو عبارة عن المكانة التى يصل اليها السالك عن طريق الأعمـــال الــتى يقــوم بهــا لــيزكى نفسه كى تصفو وتعرج للعالم الروحاني، وهو يتعلق بالكسب وللعبد اختيار فيه وزمن أمثلته التوبة والورع والزهد والفقر ...الخ (*)وقد سئل أبو بـكر الواسطى عن قــول النبى صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة ...)(*)فقــال هــى مجندة على قدر المقامات .يقول الله تعالى (وما منا إلا له مقام معلــوم .)(*) فالمقامات هى المنازل الروحية التى يمر بها السالك إلى الله تعالى .(*)

**وامــا الحــال فهم معنى يرد على القلب من غير تعمد ولااجتلاب ولااكتســاب) (*)فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب،والأحوال تأتى مــن عيــن الجود وفضله وامتنانه،والمقامات تحصل ببذل المجهود . هكذا رأى الجنيد والسراج الطوسى(*) -.

تدرج المقامات والأحوال .

تــتدرج المقامــات مــن التوبة إلى الورع إلى الزهد إلى الصــبر إلى التوكل ..) (*)ومرجع هذا الأمر إلى أن كل صوفى فهم

(*) راجع اللمع لابى نصر سراج الطوسى ص ٦٥ ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠م.
(*)
(*)سورة الصافات الآيه ١٦٤ .
(*) راجع المنقذمن الضلال ص ٤٨.
(*) راجع الرسالة ص ١٤ وما بعدها .
(*) راجع اللمع ص ٥٤ ، ٧٢ .

مضـــامين الأحوال والمقامات كل على طريقته ومشربه كما أن هـــذه المقامات تتدرج من مرحلة لأخرى ومن هنا فالعلاقة ذات طـــابع مشـــترك فهى من الله على عبده أحوالا ولطفا ومن العبد تجـــاه ربه مقامات ومجاهدات.فهو أشبه بالسلم الذى يرتقى عليه الشخص ليصل إلى غايته فربما تعسر وربما أكمل صعوده وهذه الأمور لها قواعدها نظرا لأن الترتيب يردتبعا لما عاينه السالك إبان سلوكه للطريق بحسب مواهبه وقدراته وكذا لاختلاف قواعد السلوك التى يدرج المريد فى تربيته الروح من شيخ لآخر ومن طـــريقة أو مدرسة لأخرى .(*)كما أنه ينبغى الإشارة إلى كون السـالك لايقيم فى مقام واحد بل عليه أن ينتقل بعد فترة من مقام إلى مقام فالصوفى كما يقال ابن وقته.(*)

(*) الحركة الصوفية فى الاسلام ص ١١٦ .

(*) راجع نشأة الفكر الفلسفى د/ على سامى النشار ج ٣ ص٣٧ ط/دار المعارف .

إطلالة على مقامات الصوفية

أولا.مقام التوبة

قــال اللّه تعالى {وتوبوا إِلَى اللّه جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون}.(*)

وقال تعالى {استغفروا ربكم ثم توبوا إليه}.(*)

وقال تعالى {يا أيها الذين آمنوا توبوا إِلَى اللّه توبة نصوحا}(*).

*تعتبر التوبة بمثابة اللبنة الأولى لبناء السالك فمن (لاأرض له لابـــناء له ومن لاتوبة له لاحال له ولامقام له ٠(*) ويقول ابو يعقوب يوسف بن حمدان السوسى عنها (أول مقام من مقامات المنقطعين الى الله تعالى ٠)(*)

وهى فى لغة العرب الرجوع يقال تاب أى رجع فالتوبة الرجوع عمــا كان مذموما فى الشرع إِلى ما هو محمود فيه وشروطها الندم على ما عمل من المخالفات وترك الزلة فى الحال والعزم علـــى ألايعود إِلى مثل ما عمل من المعاصى فهذه الأركان لابد

(*) سورة النور الآية ٣١ ٠

(*) سورة هود الآية ٣

(*) سورة التحريم الآية ٨ ٠

(*) عوارف المعارف ص١٣٠ ٠

(*) اللمع ص ٦٨.

منها حتى تصح توبته [١] وقبل أن نستعرض أقوال الصوفية فيها نعرج على بعض أقوال النبى صلى الله عليه وسلم فيها:-

*وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رَسُول اللَّه صَلَّى الله عليه وسَلَّم يقول: (واللَّه إني لأستغفر اللَّه وأتوب إليه في اليوم أكثر منْ سبعين مرة) رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وعنْ أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّم رَضي اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: (لله أفرح بتوبة عبده منْ أحدكم سقط عَلَى بعيره وقد أضله في أرض فلاة) مُتَّفَقٌ عَلَيْ

وعَـنْ أبـي موسى عبد اللَّه بن قيس الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَـنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (إن اللَّه تعالى يبسط يده باللَّـيل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس منْ مغربها) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبـي اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عَنْ أعلم أهل الأرض فدل

---

(١) راجع الرسالة ص ٤٩ .

عَلَــى راهــب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له مِنْ توبة فقال لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عَنْ أعلم أهل الأرض فــدل عَلَــى رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له مِنْ توبة فقــال: نعــم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إِلَى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون اللَّه تعالى فاعبد اللَّه معهم، ولا ترجع إِلَــى أرضك فإنها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتــاه المــوت؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إِلَى اللَّه تعالى، وقالت ملائكة العــذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمــي فجعلوه بينهم - أي حكماً- فقال: قيسوا ما بين الأرضين فــإِلَى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إِلَى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

● وعَنْ أبي نجيد - بضم النون وفتح الجيم- عمران بن الحصين الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن امرأة مِنْ جهينة أتت رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهي حبلى مِنْ الزنا فقالت: يا رَسُولَ اللَّه أصــبت حــدا فأقمه علي. فدعا نبي اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ولــيها فقال: (أحسن إليها فإذا وضعت فائتني) ففعل، فأمر بها

نبــي اللَّــه صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وَسَلَّم فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمــت ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا رَسُول اللَّــهِ وقد زنت قال: (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين منْ أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل منْ أن جادت بنفسها لله عَزَّ وَجَلَّ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٣- وعَنْ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيْهِ وَسَلَّم قال: (لو أن لابن آدم واديا منْ ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب اللَّه علَى من تاب) مُتَّفَقٌ علَيْه.

٢٤- وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَــيْهِ وَسَــلَّمَ قال: (يضحك اللَّه سبحانه وتعالى إِلَى رجلين يقتل أحدهمـــا الآخر يدخلان الجنة: يقاتل هذا في سبيل اللَّه فيقتل، ثم يتوب اللَّه علَى القاتل فيسلم فيستشهد) مُتَّفَقٌ علَيْه.

ويــرى ذو الــنون المصــرى أن التوبة نوعان توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة (*) وهى عند الغزالى تقوم على ثلاث أمور :-علم وحال وفعل .

(*) راجع اللمع ص ٦٨

*والـــتوبة تقتضـــى الندم على الفعل يتبعه عزما وقصدا وذلك الـــندم يورثـــه العلـــم وكلما كان الندم أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فعلامة رقة القلب غزارة الدمع

*وقـــد سئل الحسين المغازلى عنها فقال تسألنى عن توبة الإنابة أو توبة الاستجابة فقال وما توبة الانابة قال أن تخاف من الله من أجـــل قدرته عليك قال فما توبة الا ستجابة قال أن تستحى من الله لقربه منك ٠

*وقال ابراهيم الدقاق التوبة أن تتوب من ذكر كل شى سوى الله جل وعز.(*) ٠

*وســـئل سهل ابن عبد الله عن التوبة فقال أن لاتنسى ذنبك وهذا الأمـــر كمـــا يـــرى صاحب اللمع بالنسبة للقاصدين والطالبين والمتعرضـــين وهم الذين تارة لهم وتارة عليهم وأما قول الجنيد أن تنســـى ذنبك فذلك أيضا فى حق المتحققين لايذكرون ذنوبهم لما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره ٠(*)

(*) راجع التعرف لمذهب أهل التصوف ص٩٢ ٠

(*) اللمع ص ٦٨ ٠

ثانيا - مقام الصبر

هوالتجلد وحسن الاحتمال وعن المحبوب حبس النفس عنه وعلى المكـــروه احتماله دون جزع وقالوا قتله صبرا حبسه حتى مات وشهر الصبر شهر الصوم لما فيه من حبس النفس عن الشهوات ٠٠الخ(*)

وإليك طرفا من الذكر الحكيم عن الصبر ٠

قال اللّه تعالى ({يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا}(*).

وقـــال تعالى {ولنبلونكم بشيء مِنْ الخوف والجوع ونقص مِنْ الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين}.(*)

وقال تعالى {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب}.(*)

وقال تعالى {ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور}.(*)

وقال تعالى {استعينوا بالصبر والصلاة إن اللّه مع الصابرين}(*).

وقـــال تعـــالى {ولنـــبلونكم حـــتى نعلـــم المجاهديـــن مـــنكم والصابرين}.(*)

(*) راجع المعجم الوجيز ص ٣٥٩
(*) سورة العمران الاية ٢٠٠
(*) سورة البقرة ١٥٥
(*) سورة الزمر ١٠
(*) سورة الشورى الاية ٤٣
(*) سورة البقرة ١٥٣
(*) سورة محمد ٣١

والآيات في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة.

ومن أقواله عليه الصلاة والسلام فى الصبر .

*عَنْ أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان اللَّه والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها .

وعَنْ أبي يحيى صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمنْ: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما ثقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم جعل يتغشاه الكرب. فقالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: واكرب أبتاه! فقال: (ليس عَلَى أبيك كرب بعد اليوم) فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلَى

جـــبريل نـــنعاه. فلما دفن قالت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها: أطابت أنفسكم أن تحثوا عَلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم التراب ! رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعَــنْ أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وحبه وابن حبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال: أرسلت بنــت النبـــي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إن ابني قد احتضر فاشهدنا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: (إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شــيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب) فأرسلت إليه تقسم علــيه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي ابن كعــب وزيد بن ثابت ورجال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فرفع إلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم الصبي، فأقعده في حجره ونفسه تقعقع ففاضــت عيــناه. فقال سعد: يا رَسُول اللَّهِ ما هذا فقال: (هذه رحمـــة جعلها اللَّه تعالى في قلوب عباده. وفي رواية: في قلوب مـــن شـــاء مِنْ عباده، وإنما يرحم اللَّه مِنْ عباده الرحماء) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

• وعَــنْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْها أنها سألت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم عَنْ الطاعون فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه اللَّه تعالى

علَـــى من يشاء فجعله اللَّه تعالى رحمة للمؤمنين، فليس مِنْ عبد يقــع فـــي الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا، يعلم أنه لا يصــيبه إلا مـــا كتب اللَّه له إلا كان له مثل أجر الشهيد> رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعَـــنْ عطـــاء بن أبي رباح قال، قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ألا أريك امرأة مِنْ أهل الجنة فقلت: بلى. قال: هذه المرأة الســـوداء، أتـــت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقالت: إني أصرع وإنـــي أتكشف فادع اللَّه تعالى لي. قال: (إن شئت صبرت ولك الجـــنة، وإن شئت دعوت اللَّه تعالى أن يعافيك) فقالت: أصبر، فقالـــت: إنـــي أتكشف فادع اللَّه أن لا أتكشف، فدعا لها. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- وعَـــنْ أبـــي عـــبد اللَّه خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شكونا إِلَى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا فقال: (قد كان مِـــنْ قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيهفيها ثم يؤتـــى بالمِنْشـــار فيوضـــع عَلَى رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشـــاط الحديـــد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عَنْ دينه!

واللَّـــه ليتمن اللَّه هذا الأمر حتى يسير الراكب مِنْ صنعاء إِلى حضــرموت لا يخــاف إلا اللَّـــه والذئــب عَلَـــى غنمه ولكنكم تستعجلون!) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥- وعَــنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضي اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُول اللَّه صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وعَــنْ معــاذ بن جبل رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّم قال: (من كظم غيظا وهو قادر عَلَى أن ينفذه دعاه اللَّه سبحانه عَلَى رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره مِنْ الحور العين ما شاء) رَوَاهُ أبو داود والتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حديثٌ حَسَن.

*ونكتفى بهذا القدر من أحاديثه صلى الله عليه وسلم وإليك ما سطره أعلام التصوف حول مقام الصبر ٠

*قــال سهل(الصبر انتظار الفرج من الله تعالى قال وهو أفضل الخدمة وأعلاها) وقال غيره الصبر(أن تصبر فى الصبر معناه أن لا تطــالع فيه الفرج)٠قال بعضهم صابر الصبر فاستغاث به

الصـــبرفنادى الصـــبور يـــا صـــبر صـــبرا قال سهل فى قوله (واســـتعينوا بالصبر والصلاة) (*) أى استعينوا بالله واصبروا على أمر الله واصبروا على أدب الله سبحانه ٠

*وقـــال ذو الـــنون المصرى الصبر هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ٠ وقيل الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية ٠(*)

*والصـــبر عند الغزالى رحمه الله نصف الإيمان باعتباره يطلق علـــى التصـــديقات والأعمال جميعا وبذلك يكون للإيمان ركنان أحدهمـــا اليقين والآخر الصبر(**) ٠ كما أن الصبر صورة من صـــور الجهـــاد الأكـــبر، فهو يروض النفس على قبول قدرها الروحى فى المعاناة الصوفية التى تنظم فى سلم الشدة كلما ارتقى

(*) من سورة البقرة الاية

(*) راج الرسالة ص ٩٣

*يلاحظ ما أورده القشيرى رحمه الله حكاية عن السرى أنه أراد الحديث عن الصبر ولدغته عقرب فى وقتها فاستحيا أن يتكلم عن الصبر تاركا العقرب يضربه بابره وهذا لاشك أنه لايتوافق مع قوله (ولاتلقوا بايديكم إلى التهلكة) وحكى حكاية أخرى عن صديق ودع صاحبه فدمعت إحدى عينيه ولم تدمع الأخرى فعاقبها بغلاقها ستين سنة وذاك لأنه حرمها النظر. من يقول هذا القول لاشك إن مثل هذه الأقوال تحتاج الى المراجعة ٠راجع الرسالة ص ٩٤

(**) الإحياء ج٤ ص ١٨٢

المريد فى مراتب السلم الصوفى (*) قال سهل الصبر مقدس تقدس به الأشياء قال أبو عمرو الدمشقى فى قوله تعالى (مسنى الضر) أى مســـنى الضـــر فصبرنى لأنك أرحم الراحمين . وقال غيره مســـنى الضر الذى تخص به أنبيائك وأوليائك بلا استحقاق منى لكن لأنك أرحم الراحمين .

** وقال بعضهم إنما جزع من أجله لا من أجل نفسه وذلك أن الألم استولى على بدنه فخاف زوال عقله (*)

(*) راجع الحركة الصوفية فى الإسلام محمد على أبو ريان ص ١٢٠ . الآية من سورة الأنبياء ٨٣ .
(*) التعرف لمذاهب أهل التصوف ص ٩٥ .

ثالثا. مقام الشكر

حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة بالمنعم على وجه الخضوع .

وهو أنواع،شكر اللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة وهو للعالمين من جملة أقوالهم وصفة للعابدين نوعا من أفعالهم وشكر العارفين يكون باستقامتهم له فى عموم احوالهم .(*)

**قال الحارث المحاسبى الشكر زيادة الله للشاكرين معناه إذا شكر زاده الله توفيقا فزاد شكرا. **قال أبوسعيد الخراز الشكر (الاعتراف للمنعم والاقرار بالربوبية) **قال أبو على الروباري لو كل جارحة منى لها لغة تثنى عليك بما أوليت من حسن لكان ما زاد شكرى إذ شكرت به ، إليك أزيد فى الإحسان والمنن ** وهو عند الإمام الغزالى من جملة مقامات السالكين

(*) راجع الرسالة ص٨٨

ويـــتالف من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل ويورث الحال والحـــال يـــورث العمل فأمّا العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحـــال هـــو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو القيـــيام بمـــا هـــو مقصود المنعم ومحبوبه • وما منع الناس أن يشكروا ربهم إلا الغفلة عن معرفة النعم ولايتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها • كما أنّها تؤدى إلى طاعة الله عزوجل •[*]قال بعـــض الكـــبراء الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم قال يحـــيى بن معاذ لست بشاكر مادمت تشكر وغاية الشكر التحير وذلـــك أن الشكر نعمة من الله يجب الشكر عليها وهذا لا يتناهى •[*] كان بعض الكبراء يقول فى مناجاته (اللهم إنك تعلم عجزى عن مواضع شكرك فاشكر نفسك عنى)[*]

وقال الجنيد الشكر (أن لاترى نفسك أهلا للنعمة) وقال رويم (الشكر استفراغ الطاقة) • وقيل الشاكر الذى يشكر الموجود والشكور الذى يشكر على المفقود [*]

---

[*] راجع الاحياء ج٤ ص١٨٢
[*] راجع عوارف المعارف • السهروردى ص ١٣٥
[*] التعرف ص ١٠٠
[*] راجع الرسالة ص ٨٨

رابعا. مقام التوكل

* من آيات التوكل في القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى

قال الله تعالى {ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما} (*)

وقال تعالى): {الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيمانا، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم}. *

({وتوكل على الحي الذي لا يموت} (*)

وقال تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون}.(*)

وقال تعالى (): {فإذا عزمت فتوكل على الله}.(*)

والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة.

(*)الأحزاب ٢٢

* آل عمران ١٧٣، ١٧٤

(*) الفرقان ٥٨.

(*)إبراهيم ١١.

(*)آل عمران ١٥٩

وقال تعالى ({ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه}[*]: و قوله (: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر اللّه وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلى ربهم يتوكلون}[*].

ومن أقواله عليه السلام في التوكل

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قال، قال رَسُول اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آله وَسَلَّم: (عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولاعذاب. ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رَسُول اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج

---

[*] الطلاق ٣
[*] الأنفال ٢

علـيهم رَسُـول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقال: (الرهيط) بضم الراء: تصغير رهط: وهم دون العشرة أنفس.

و (الأفق) : الناحية والجانب.

و (عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها والتشديد أفصح.

عن ابن عباس أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أن رَسُول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عَلَـيْهِ وَسَـلَّم كـان يقول: (اللهم لك أسلمت، بك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت والجنوالإنس يموتون) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وهذا لفظ مسلم واختصره البخاري.

وعـن ابـن عباس أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (حسبنا اللَّه ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صَـلَّى اللَّـهُ عَلَـيْهِ وَسَـلَّم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشـوهم، فـزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع النبي صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قـبل نجـد فلما قفل رَسُول اللَّه صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قفل معهم

فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم تحت سمرة فعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: (إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا قال: من يمنعك مني قلت: اللَّه ثلاثا) ولم يعاقبه وجلس. مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وعن عمر رَضِيَ **اللَّهُ عَنْهُ قال** سمعت رَسُول **اللَّهِ** صَلَّى **اللَّهُ عَلَيْهِ** وَسَلَّم يقول: (لو أنكم تتوكلون على **اللَّه** حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصا وتروح بطانا) رَوَاهُ **التِّرْمذِيُّ** وَقَالَ حديثٌ حَسَنٌ.

وعن أنس رَضِيَ **اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّه** صَلَّى **اللَّهُ عَلَيْهِ** وَسَلَّم: (من قال (يعني إذا خرج من بيته): بسم **اللَّه**، توكلت على اللَّه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وقال الترمذي حديث حسن. زاد أبو داود: فيقول (يعني الشيطان) لشيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي **وكفي ووقي** > .

وعــن أنس رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (من قال (يعني إذا خرج من بيته): بسم اللّه، توكلت على اللّــه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وقال الترمذي حديث حسن. زاد أبو داود: فيقول (يعني الشيطان)

*ومن أقوال أعلام التصوف فى التوكل ،نعرض مايلى :-

• قال سرى السقطى (التوكل الانخلاع من الحول والقوة)وقال ابن مسروق(التوكل الاستسلام لجريان القضاء فى الأحكام) * قال سهل(التوكل الاسترسال بين يدى الله تعالى) *

*قــال أبوعبدالله القرشى التوكل (ترك الإيواء إلا إلى الله) *قال أبوأيــوب (التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية) * قال الجنيد حقيقة التوكل (أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل)*

قــال أبوســعيد الخــراز قامت الكفايات من السيد لأهل مملكته فاستغنوا عن مقامات التوكل عليه ليكفيهم فما أقبح التقاضى بأهل

الصفاء جعل التوكل عليه لأجل الكفاية تقاضى القيام بالكفاية كما قال الشبلى التوكل كدية حسنة.

*قال سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فإنه وجه بلا قفا يريد توكل العناية لا توكل الكفاية وهو أن لا يطالبه بالأعواض.

* وقال بعضهم التوكل سر بين العبد وبين الله معناه كما قال بعض الكبراء حقيقة التوكل ترك التوكل وهو أن يكون الله لهم حيث كان لهم إذ لم يكونوا موجودين قال بعض الكبار لإبراهيم الخواص إلى ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال ويحك بعد أن تسعى فى عمران بطنك معناه إن توكلك عليه لاجل نفسك احتراز من مكروه يصيبها.(*)

وقال(بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله يكذب على الله تعالى لو توكل على الله تعالى لرضى بما يفعل الله)(١)وقال ابنت عطاء عن حقيقة التوكل(ألا تظهر فيك انزعاج إلى الاسباب مع شدة فاقتك إليها ولاتزول عن حقيقة السكون إلى الحق وعن وقوفك عليها .)

(*) التعرف ص١٠١ ومابعدها
(١) .الرسالة- ص٨٢

وســئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال إذا رضى بالله تعالى وكيلا .(*)

(*) راجع الرسالة ص ٨٢

خامساً:- **مقام الرضا**

ذكــر الله تعالى الرضا فى كتابه فقال (رضى الله عنهم ورضوا عــنه)(*) وقال (ورضوانٌ من الله أكبر) فذكر المولى أن رضا الله عزوجل عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم عنه. (*)

وورد عنه عليه السلام قوله (ذاق حلاوة الإيمان من رضى بالله ربا ...)يقول الرازى (فجنة الجسد هى الجنة الموصوفة وجنة الروح هى رضا الرب . ولفظ الإله يفيد غاية الجلال والهيبة . (*)

وكتب عمر(*)رضى الله عنه إلى أبىموسى الاشعرى(أما بعد فإن الخير كله فى الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر).(*)

قال الجنيد الرضا ترك الاختيار(*).قال الحارث المحاسبى الرضا سكون القلب تحت جريان الحكم.و قال ذو النون الرضا سرور القلب بمر القضاء.

(*) المائدة الاية ١١٩

(*) التوبة الاية ٧٢

(*) راجع التفسير الكبير الرازى ج (الثانى والثلاثون) ص ٥٦

(*) راجع الرسالة ص٩٩

(*) راجع اللمع ص ٨٠

**وقـــال رويم الرضا استقبال الأحكام بالفرح ، وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختارله الأفضل قـــال سفيان عند رابعة اللهم أرض عنى فقالت له أما تستحي أن تطلب رضا من لست عنه براض ٠

*وقال محمد بن خفيف الرضا على قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به مدبرا والرضا عنه فيما يقضى ٠

*وقال أبو على الدقاق ليس الرضا أن لاتحس بالبلاء إنما الرضا أن لاتعترض على الحكم والقضاء ٠

• وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام(إن رضاى فى رضاك بقضـــائى) ويقـــول النصر إباذى(من أراد ان يبلغ محل الرضا فلـــيلزم ما جعل الله رضاه فيه ٠ وسئلت رابعة متى يكون العبد راضيا قالت إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة.وأورد ذو النون أصـــول الرضا فقال (ترك الاختيار قبل القضاء وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب فى حشو البلاء) ٠(*)

*قال سهل إذا اتصل الرضا بالرضوان اتصلت الطمأنينة فطوبى لهـــم وحسن مآب يريد قوله جل وعز رضى الله عنهم ورضوا

(*) راجع الرسالة ص ٩٨

عـــنه فمعـــناه الرضـــا فـــى الدنيا تحت مجارى الأحكام يورث الرضوان فى الآخرة بما جرت به الأقلام قال الله تعالى وقضى بيـــنهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فهو قول الفريقين من أهل الجنة والنار من الموحدين من أهلها فإن المشركين لا يؤذن لهم فى الحمد لأنهم محجوبون (٥٠)

(٥٠) التعرف ص ١٠٢

سادسا: مقام الخوف(*)

يقول تعالى (وخافون إن كنتم مؤمنين)[1] ويقول (يدعون ربهم خوفـا وطمعا)[2] وقال (يخافون ربهم من فوقهم)(*)وقول (قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)(*) وقال (يخافون يومـا تتقلـب فيعه القلوب والأبصار)(*)وقال (ولمن خاف مقام ربـه جنتان)(*)ويقول (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد)(*) مـن هذا الذكر الحكيم استقى أهل التصوف السنى مقام الخوف .هذا وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام مـن أشد الخائفين مـن ربه وسار على دربه كل صدق فى اتباعه،فهذا هوالصديق رضى الله عنه يقول (لاآمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمى فى الجنة .وفى الحديث الشريف لا(ورجل ذكـر الله خاليا ففاضت عيـناه)فما دفعه لهذا إلا تذكر جلال الله على عباده وأنه تعالى يمهل عباده على الرغم من مبادرتهم إياه بالمعاصى فالخوف من الله هو الذى أجري دمع العين المتجمد ولذا جاء أيضا قوله عليه

(*) اعتبره صاحب اللمع من جملة الأحوال التى تعرض للسالك . راجع اللمع ص ٨٩ .

(1) سورة البقرة الآية

(2) سورة السجدة الآية

(*) سورة الانبياء الآية

(*) سورة الزمر الآية

(*) سورة النور الاية

(*) سورة الرحمن الاية

(*) سورة لابلراهيم الآية

السلام (لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتى يلج اللبن من الضرع. ولن يعود اللبن إلى موضعه بعد نزوله .. كذلك الخائف هو الذى يترك ما يخاف لأن يعاقب عليه . فالصوفى يأنف منذ البداية من اقتراف ما نهى الله عنه .(*)

*وهذا الرجل الذى أوصى أولاده باحراقه ثم سحقه ثم جعله فى الريح ففعلوا فجمعه الله فقال ما حملك ؟فقال مخافتك فتلقاه برحمته (*).

* قال أبوعمرو الدمشقى (من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من العدو)*وقال أحمد السيد حمدويه (الخائف الذى يخافه المخلوقات)*وقال أبو عبدالله بن الجلاء (الخائف الذى تأمنه المخلوقات)*وقال ابن خبيق (الخائف الذى يكون بحكم كل وقت فوقت تخافه المخلوقات ووقت تأمنه الذى تخافه المخلوقات هو الذى غلب عليه الخوف فصار خوفا كله فيخافه كل شىء)*كما *قيل من خاف الله خافه كل شئ والذى أمنته المخاوف هو الذى إذا طرقت المخاوف أذكاره لم تؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله تعالى ومن غاب عن الأشياء غابت الأشياء عنه *قال رويم

(*) راجع لحركة الصوفية فى الإسلام ص ١٢٣

(*) التعرف - ص ٩٨ ومابعدها.

الخائف الذي لا يخاف غير الله معناه لا يخافه لنفسه وإنما يخافه إجـلالا له والخـوف للـنفس خوف العقوبة . وقال ابن خبيق الخـائف عندى من يخاف من نفسه اكثر مما يخاف من الشيطان .(*) قـال سـهل الخوف ذكر والرجاء أنثى معناه منهما يتولد حقـائق الإيمـان* وقال إذا خاف العبد غير الله ورجا الله تعالى أمن الله خوفه وهو محجوب .(*) ويبين أبو على الدقاق مراتب الخـوف متمثلة في (الخوف والخشية والهيبة فالخوف شرط الايمان (وخافون ان كنتم مؤمنين)(*) والخشية من شرط العلم قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) (*)والهيبة من شرط المعرفة قال تعالى (ويحذركم الله نفسه)(*)

ويقـول أيضـا (الخوف أن لاتعلل نفسك بعسى وسوف) وسئل الشـبلى لـمَ تصفر الشمس عند الغروب فقال لأنها عزلت عن مكـان الـتمام فاصفرت لخوف المقام وكذا المؤمن إذا قارب خـروجه مـن الدنـيا أصفر لونه لأنه يخاف المقام فاذا طلعت

(*) راجع اللمع ص ٩٠
(*) التعرف ص ٩٧
(*) الرسـالة ٦٧
(*) نفسـه ٦٧
(*) نفسـه ٦٨

الشـــمس طلعــت مضيئة كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق .(*)

فهـــناك خوف من الله تعالى ثم من النفس الأمارة بالسوء ثم من الدنـــيا ثـــم مـــن الشـــيطان ٠٠٠٠ ألخ ولكل مقامه لكن أرباب التصوف وجهتهم هى الخوف منه تعالى منذ البداية .

(*) راجع الرسالة ص ٦٧

سادساً: مقام الزهد

*الـــزهد مقـــام رفيع يهذب النفس ويرقى بها٠ وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منها ٠

يقوم الزهد عند اهل الطريق على الناحية العملية والتى تقوم على التقشف فى المأكل والمشرب والملبس ومن تقوى وورع ومراقبة لله تعالى ٠٠٠٠٠ الخ وقد يكون عن ملك وذلك فى حق الأغنياء وعـــندئذ يكون مفهومه الجود بما يملك وإخراجه وخروج القلب مـــنه٠ وقد يكون عن عدم ومفهومه الغبطة والرضى بالفقد وهذا هو زهد الفقراء (*) وهذا مفهوم قول ابن تيمية (قديكون الزهد مع الغنى وقد يكون مع الفقر)(*)*وبين شقيق البلخى مراتب الزهاد مـــنة حيث القرب والبعد من الله تعالى (فيقول : أقرب الزهاد الى الله تعالى أشدهم خوفا ،وأحب الزهاد إلى الله تعالى أحسنهم عمـــلا ،وأفضـــل الزهاد إلى الله تعالى أعظمهم فيما عنده رغبة ،وأكرم الزهاد عليه أتقاهم عليه ،وأتم الزهاد زهدا أسخاهم نفسا وأسلمهم صدرا وأكمل الزهاد زهدا أكثرهم يقينا ٠)(*)

(*) راجع قوت القلوب ـ٠ المكى
*ايضا راجع التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه ١٦٤
(*) راجع التصوف ابن تيمية ص٢٨
(*) راجع حلية الاولياء ـ الاصفهانى ج ٨ ص ٧٠ ط دار الكتاب العربى بيروت

قـــال الجنـــيد الزهد خلو الأيدى من الأملاك والقلوب من التتبع قـــال على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن الزهد ما كان فقال هو أن لا تبالى من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر .

- قال يحيى الزهد ترك البد قال مسروق الزاهد الذى لا يملكه مع الله سبب، وسئل الشبلى عن الزهد فقال ويلكم أى مقدار لأقل من جناح بعوضة حتى يزهد فيها .
- قـــال أبـــو بكر الواسطى كم تصول بترك كنيف وإلى متى تصـــول بإعراضك ما لا يزن عند الله جناح بعوضة وسئل الشبلى عن الزهد فقال لا زهد فى الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له فليس ذلك بزهد أو يزهد فيما هو له فكيف يزهد فـــيه وهـــو معه وعنده فليس إلا ظلف النفس وبذل ومواساة كأنـــه جعـــل الزهد ترك الشىء فيما ليس له وما ليس له لا يصح له تركه لأنه متروك وما هو له لا يمكنه تركه (*)
- ويقـــول ســـفيان الثورى (الزهد فى الدنيا قصر الأمل وليس بأكل الغليظ ولابلبس العباء) .

(*) التعرف ص ٩٣

- من علامات الزهد عند أرباب الطريق •
- أن لا يفرح بموجود ولايحزن على مفقود •
- أن يستوى عنده مادحه وذامه•
- أن يكون انسه بالله وهو الغالب على قلبه حلاوة الطاعة .(*)

(*) نفسه ص ٦٢

مقام الورع

وهو مقام عظيم يحتاج لمجاهدة النفس كى تصل اليه وقل من يرد مشربه ومن هنا فقد قالوا إن الورع ترك الشبهات وترك ما لايعنيك هو ترك الفضلات ٠**وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه**(كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع فى باب من الحرام)وقال **رسول الله صلى الله عليه وسلم** من حسن اسلام المرء تركه ما لايعنيه[1] وقَالَ قَالَ **رَسُولُ اللَّـــه صَـلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ** يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ *[2] **وقال الشبلى** عنه الورع أن تتــورع عن كل ما سوى الله تعالى **وقال أبو سليمان الدارنى** الــورع أول الزهد كما أن القناعة طرف من الرضاوقال **ابو عثمــان** ثواب الورع قلة الحساب ٠ **وقال يحيى بــن معــاذ** الــورع الوقفوف على حد العلم من غير تأويل وعن **يحيى بن معــاذ**

---

[1] اخرجه الترمذى فى الزهد ب رقم ٢٣١٨/١١ وابن ماجه فى الفتن ب كف اللسان فى الفتنة ٣٩٧٦ وقال الالبانى صحيح ٠

[2] ابن ماجه فى الزهد باب الورع والتقى ٤٢١٧ ٠ صححه الالبانى٠

الورع على وجهين ورع الظاهر وهو الا يتحرك الا لله وورع الباطن وهو الا يدخل قلبك سواه تعالى ٠ومن الورع ماكان من **أخت بشر الحافى** حين سألت الامام احمد رحمه الله إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا أفيجوز لنا الغزل فى شعاعها فقال أحمد من أنت عافاك الله فقالت اخت بشر الحافى فبكى أحمد ووقال من بينكم يخرج الورع لاتغزلى فى شعاعها ٠[٣]

وقال **الخواص** الورع الورع دليل الخوف ٠والخوف دليل المعرفة والمعرفة دليل القربة ٠

مراتب أهل الورع :-

وأهل الورع على ثلاث طبقات :- **فمنهم من تورع عن الشبهات التى اشتبهت عليه** ٠وهى بين الحلال البين والحرام البين وما لايقع عليه اسم حلال مطلق ولااسم حرام مطلق فيكون بين ذلك فيتورع عنهما ٠[٤]

فعن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرِرضى الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا

---

[٣] الرسالة القشيرية – ص ١٨٦ تهانى الحاج ط الكتبة التوفيقية ٠

[٤] اللمع للطوسى ابى نصر ت د عبد الحليم محمود طه سرور ص٧٠ ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠ م

مُشْبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَـرَاعٍ يَرْعَـى حَـوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَـى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ *(١)

ومنهم من يتورع عن عما يقف عنه قلبه ويحيك فى صدره عند تناوله وهذا لايعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون وهـو كما روى عن النبى صلى اله عليه وسلم **الاثم ما حـاك فـى صدرك ٠٠٠٠)**

*وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الْـأَرْضَ وَمَـا فِيهَـا فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الْآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ أَنْكِحُوا الْغُلَـامَ الْجَارِيَـةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا *(٢)

(١) صحيح البخارى - ك الايمان - رقم ٥٠ م

(٢) - نفسـه - ك أحاديث الانبياء - رقم ٣٢١٣ م

وعنه أيضا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي ثُمَّ أَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقِيهَا * (١)

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَنَحْنُ حُرُمٌ فَأُهْدِيَ لَهُ طَيْرٌ وَطَلْحَةُ رَاقِدٌ فَمِنَّا مَنْ أَكَلَ وَمِنَّا مَنْ تَوَرَّعَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ طَلْحَةُ وَفَّقَ مَنْ أَكَلَهُ وَقَالَ أَكَلْنَاهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ * (٢)

*وعن ابى مُوسَى الْأَنصَارِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ قَالَ قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ وَفِي الْحَدِيثِ قِصَّةٌ قَالَ وَأَبُو الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيُّ اسْمُهُ رَبِيعَةُ بْنُ شَيْبَانَ قَالَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ بُرَيْدٍ فَذَكَرَ نَحْوَهُ *(٣)

(١) صحيح مسلم - ك - الزكاة - رقم ١٧٧٩ هـ
(٢) نفســه ك - الحج - رقم ٢٠٦٢ هـ
(٣) - سنن الترمذى - ك - صفة القيامة والرقائق والورع رقم ٢٤٤٢

ولقد مثل هذا الورع ائمة الصوفية وأعلامهم فهذا المحاسبي رحمه الله كما يحكى عنه أنه كان لايمد يده إلى طعـــام فيـــه شبهه ٠

وأما الطبقه الثالثة فهم العارفون والواجدون وهو كما قـــال **أبو سليمان الـــدارنى** رحمه الله كل ما شغلك عـــن الله فهـــو مشئوم عليك فالورع فيما لاينسى الله فيه هو الـــورع والـــذى سئل عنه الشبلى فقال أن تتورع ألا يتشـــتت قلبـــك عـــن الله عزوجل طرفة عـــين **فـــالأول** ورع العمـــوم **والثـــانى** ورع الخصوص **والثالث** ورع خصوص الخصوص ٠[5]

فالورع عند الصوفية هو العلاقة المميـــزة للصـــوفيةبعد ان امتملت لديهم معالم الطريق لأن معناه الباطن الاتى الاغيـــار فلا تدرك سوى الله مصداقا لقول الله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام [6]

[5] اللمع للطوسى ابى نصر ت دعبد الحليم محمود طه سرور ص٧٠ ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٠ م

[6] الحركة الصوفية فى الإسلام محمد على ابو ريان ص ١٢٩ ط دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥ م
- و الآيتان سورة الرحمن ٠

دراسة لبعض الأحوال

بعد هذه الرحلة عبر المقامات المختلفة والتى يكون الحب وسيلتها والرياضات والمجاهدات طريقها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى تستعد النفس لتلقى الإشراقات الإلهية وقد تكون اجتباء منذ البداية فيفيض المولى على عبده بما يشاء وهو فى هذه الأحوال والتى هى مواهب منه تعالى مقيد بعالم الشهادة غير مدرك لسر عالم الغيب الذى لايدرك إلا ذوقا ولايعرف إلا إلهاما وكشفا لأن متا لايتناهى لايركه المتناهى ٠ ووفى هذا يقول القشيرى رحمه الله (وتوهم قوم أن المشاهدة تشير إلى طرف من التفرقة لأن باب المفاعلة إنما يكون بينم اثنين وهذا تخيل من صاحبه فإن فى ظهور الحق سبحانه إهلاك للخلق ٠ (*) ويمكننا الآن أن أن نقف على معالم الطريق عند أربا ب التصوف السنى حتي تتضح لنا معالم أحوالهم ومقاماتهم ٠

(*) راجع الرسالة ص ٧٦.

*- الســـالك الصوفى لايتكلم عن الماهية الإلهية لأنه لايتأتى له مشـــاهدتها وكان التصوف الإسلامى بعيدا عن هذه الأفكار حتى زمن الحلاج ·

*- حـــياة الـــزهد التى عاشها الأوائل كانت صحوا لا فناء فيها ولاغيـــبة معهـــا وحتى الغيبة لايصل السالك فيها إلى الاتحاد أو الحلول بالله ···يقول الحلاج

أنا الحق والحق للحق حق   لابس ذاته فما ثم فرق ·(*)

*- غايـــة أربـــاب الطريق تالوصول إلى وحدة الشهود لا إلى الوجود كما هو عند أرباب التصوف الفلسفى ·

*- اســـتعمل أربـــاب التصوف السنى الرمزية فى التعبير عن أحوالهـــم وأوقـــاتهم ولكنهم لم يوغلوا فيها ولم يشيروا كما أشار أربـــاب التصوف الفلسفى إلى نظريات وافدة وأفكار دخيلة على الإسلام فضلا عن التصوف ·

*- لـــم يفصـــل أرباب التصوف السنى الحقيقة عن الشريعة فلا يمكن لسالك غير مصلى أو صائم أو لايؤدى التكاليف الشرعية أن يقـــول إنى من السالكين فلابد من موافقة طريقة لشريعة الله

(*)

تعالى فالحقيقة مؤسسة على الشريعة ولايمكن الفصل بينهما فمن لم يتشرع لم يتحقق .(*)

*- لايجاهر ولايفاخر أرباب التصوف السنى بكرامات الله إياهم وبما يؤدهم وإنما يستخفون بها ..الخ يقول العلامة ابن خلدون (وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الإدراك وإنما همهم الاتباع والاقتداء ومن عرض له شى من ذلك أعرض عنه ولم يحفل به بل يفرون منه ويرون انه من العوائق والمحن(*) . وأما غيرهم فيجاهرون ويفاخرون ويقومون ذلك على علم خاص يعرف بعلم الأسماء والحروف .

*- لم يخرج من أرباب التصوف السنى فى مواجيدهم عبارات باطلة أو شطحات زائفة لاأذن فيها من الله تعالى .حتى فى أقوالهم لم يخرجوا عن إطار الزمان والمكان وعن أحكام العقل والفكر والجرأة على الله تعالى والدين . (*)

(*) راجع التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه / فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن المراكبي ص الجزء الثانى ص ٢٩٥

(*) المقدمة لابن خلدون ص ٤٠٤ ،

(*) راجع التصوف الإسلامي بين انصاره وخصومه ج٢ ص ٢٩٨

*- لايفصـل الصوفية بين الظاهر والباطن فصلا مطلقا ولابين الـروح والجسـد فطريقهم يبدأ بالمجاهدات والرياضات لتصل النفس لدرجة سامية تستعد لوهلها لتلقى نفحان الإله،ولكن غيرهم رأى أن الأجساد أوهام أو المادة لاوجود لها حتى يفنى فى الإله ويغـوص فيه فلا يفرق عندئذ بين البشروالإله فيكون ذلك مدعاة للقـول بـالحلول والاتحاد ٠٠٠٠ ويتسن القول بالخير الكمطلق باعتبار عدم تقسمة والكثرة ألخ

أولاً- السكر

*يلاحظ أن هذه المصطلحات استخدمها الصوفية كأساليب رمزية تعبر عما هم فيه وليس مفهوم السكر على حقيقته بتناول المسكرات حتى يغيب(السالك) عن وعيه فهو بهذا يكون قد خرج عن إطار التصوف السنى والذى لايخرج اتباعه عن الشرع قيد أنملة . والسكر مفهومه :-

وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء (فهم موجود غير متحد بغيره)وهوأن لا يميز بين مرافقة وملاذه وبين أضدادها في مرافقة الحق فإن غلبات وجود تسقطه عن المميز بين ما يؤلمه ويلذه.

وقيل فى تعريفه أنه (غيبة بوارد قوى وقد يكون مبسوطا اذا لم يكن مستوف فى حاله وقد يسقط لخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد فيكون للإحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره (*).

- كما روي في بعض الروايات في حديث حارثة أنه قال استوى عندي حجرها ومدرها وذهبها وفضتها وكما قال

(*) الرسالة ص ٤١

عــبد الله بن مسعود ما أبالي على أي الحالين وقعت على غــنى أو فقر إن كان فقرا فإن فيه الصبر وإن كان غنى فإن فيه الشكر ذهب عنه التمييز بين الأرفق وضده وغلب عليه رؤية ما للحق من الصبر والشكر

- * والصــحو الذي هو عقيب السكر هو أن يميز فيعرف المؤلــم من الملذ فيختار المؤلم في موافقة الحق ولا يشهد الألم بل يجد لذة في المؤلم
- أو هو رجوع إلى الاحساس بعد الغيبة .(*)،
- فأصــحاب الاتجاه التصوفى الخالص يبقى الامر عندهم دون تجــاوز إلى اتصال أو اتحاد أو حلول أو وحدة فإذا عادوا من فنائهم وصحوا من سكرهم ورجعوا من غيبتهم عــادوا إلـــى الفرق لا إلى عين الجمع وهو فناء شهود لا وجود كما جاء عن بعض الكبار أنه قال لو قطعني البلاء إربا إربا ما ازددت لك إلا حبا حبا * وعن أبي الدرداء أنــه قــال أحــب الموت اشتياقا إلى ربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي وأحب الفقر تواضعا لربي * وعن بعض

(*) الرسالة ص٤١

الصحابة أنه قال يا حبذا المكروهان الموت والفقر وهذه الحالة أتم لأن صاحب السكر يقع علىالمكروه من حيث لا يدري ويغيب عن وجود التكره وهذا يختار الآلام على الملاذ ثم يجد اللذة فيما يؤلمه بغلبة شهود فاعله * والصاحي الذي نعته قبل نعت السكر ربما يختار الالام على الملاذ لرؤية ثواب أو مطالعة عوض وهو متألم في الآلام ومتلذذ في الملاذ فهو نعت الصحو والسكر .

- معناه أن حالة التمييز إذا أسقط عني مالي وأوجد مالك فكيف يكون حاله السكر وهو سقوط التميز عني ويكون الله هو الذي يصرفني في وظائفي ويراعيني في أحوالي وهاتان حالتان تجريان علي وهما لله تعالى لا لي فلا زلت في هاتين الحالتين أبدا (*)

(*) التعرف ١١٦

ثانيا- الغيبة والشهود

معنى الغيبة أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها وهى أعنى الحظوظ قائمة معه موجودة فيه غير أنه عنها بشهود ما للحق كما قال أبو سليمان الداراني وبلغه أنه قيل للأوزاعي رأينا جاريتك الزرقاء في السوق فقال أو زرقاء هى ، فقال سليمان انفتحت عيون قلوبهم وانطبقت عيون رؤوسهم ، أخبر أن غيبته عن رزقتها كانت مع بقاء لذة الحور فيه بقوله أو زرقاء هى(**)

وقيل الغيبة هى غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما وزد عليه ثم قد يغيب القلب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب (*)

والشهود(أو الحضور) أن يرى حظوظ نفسه ومعنى ذلك أن يأخذ ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية لا للذة والشهوة وغيبة أخرى وراء هذه وهى أن يغيب عن الفناء والفاني بشهود البقاء والباقي لا غير كما أخبر حارثة عن نفسه ويكون الشهود شهود عيان ويكون غيبته عما غاب غيبة شهود الضر والنفع لا

(**) راجع التعرف ص

(*) راجع الحركة الصوفية ص ١٣٩

غيـــبة استتار واحتجاب (*) والمعنى أن حضوره بالحق لاستيلاء ذلـــك على قلبه فكلما غاب عن الخلق كلما كان حاضرا مع الله تعـــالى وهما معنيان متلازمان فاذا حدث الحضور تحققت الغيبة واذا انتفت الغيبة لم يتحقق الحضور والغيبة فيها انتقال من عالم الحس إلى عالم الغيب (*).

****

ثالثاً: الجمع والتفرقة

أول الجمـــع جمـــع الهمة وهو أن تكون الهموم كلها هما واحدا وفي الحديث من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله سائر همومــــه ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أوديتها هلك وهذه حال المجاهدة والرياضة.

• والجمع الذي يعنيه أهله هو أن يصير ذلك حالا له وهو أن لا تـــتفرق همومـــه فيجمعها تكلف العبد بل تجتمع الهموم فتصير بشـــهود الجامع لها هما واحدا ويحصل الجمع إذ كان بالله وحده دون غيره

(*) راجع التعرف ص
(*) راجع الحركة الصوفية ص ١٤٠

فالجمع من قبل الله تعالى وهو يعنى اشهاد المولى عزوجل للعبد مـــن افعال نفسه تعالى فهو اثبات منه تعالى من نحو ابداء معان وفـــتح مغاليق ولطف واحسان ٠٠٠الخ فهو الجمع فالعبد يفرق والله يجمع عليه ،وهما متلازمان ولابد للعبد من أن يجمع بينهما وذلـــك كمـــا يشير اليه القشيرى رحمه الله الى قوله تعالى ،إياك نعـــبد، إشارة الى الفرق وقوله ،إياك نستعين، إشارة الى الجمع (**)

• والـــتفرقة الـــتى هي عقيب الجمع هو أن يفرق بين العبد وبين همومه في حظوظه وبين طلب مرافقه وملاذه فيكون مفرقا بينه وبيـــن نفسه فلا تكون حركاته لها وقد يكون المجموع ناظرا إلى حظوظـــه فـــي بعض الأحوال غير أنه ممنوع منها قد حيل بينه وبيـــنها لا يتأتى له منها شيء وهو غير كاره لذلك بل مريد له لعلمه بأنه فعل الحق به واختصاصه له وجذبه إياه مما دونه (***)

*سئل بعض الكبار عن الجمع ما هو فقال جمع الاسرار بما ليس منه بد وقهرها فيه إذ لا شبه له ولا ضد وقال غيره جمعهم به حيـــن وصـــلهم بالقصور عنه وفرقهم عنه حين طلبوه بما منهم

(**) راجع الرسالة ص
(***) راجع التعرف ص

فسنح التشتيت لارتياده بالاسباب وحصل الجمع حين شاهدوه في كل باب.

* فالتفرقة التى عبر عنها هي التي قبل الجمع معناه أن التقرب إليه بالاعمال تفرقه وإذا شاهدوه مقربا لهم فهو الجمع .(*)

(*) راجع التعرف

رابعاً: **حال الفناء والبقاء**

*الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حـظ ويسقط عنه التمييز فناء عن الاشياء كلها شغلا بما فنى به كمـا قـال عامـر بن عبد الله ما أبالي امرأة رأيت أم حائطا ٠

*والحـق يـتولى تصريفه فيصرفه في وظائفه وموافقاته فيكون محفوظـا فيما لله عليه مأخوذا عما له وعن جميع المخالفات فلا يكـون له إلـيها سبيل وهو العصمة وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت له سمعا وبصرا ٠٠٠الخ ٠

والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عماله ويبقى بما لله

- وقال الخراز الفناء هو التلاشي بالحـق والبقاء هو الحضور مع الحق ٠
- وقـال ابراهـيم بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانـية وصـحة العبودية ٠ (*) قال بعض الكبار البقاء مقام النبييـن ألبسوا السكينة لا يمنعهم ما حل بهم عن فرضه ولا عن فضله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ٠(*)

(*) راجع الحركة عند الصوفية ص١٣٩

(*) راجع التعرف ص

- والبقاء هو أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا فتكون كل حـــركاته في موافقات الحق دون مخالفاته فيكون فانيا عن المخالفـــات باقـــيا فـــي الموافقات وليس معنى أن تصير الاشياء كلها له شيئا واحدا أن تصير المخالفات له موافقات فـــيكون مـــا نهى عنه كما أمر به ولكن على معنى أن لا يجـــري عليه إلا ما أمر به وما يرضاه الله تعالى دون ما يكرهه ويفعل ما يفعل لله لا لحظ له فيه في عاجل أو آجل وهـــذا معنى قولهم يكون فانيا عن أوصافه باقيا بأوصاف الحـــق لان الله تعالى إنما يفعل الاشياء لغيره لا له لانه لا يجـــر بـــه نفعا ولا يدفع به ضرا تعالى الله عن ذلك وإنما يفعـــل الاشـــياء لينفع الاغيار أو يضرهم فالباقي بالحق الفاني عن نفسه يفعل الاشياء لا لجر منفعة إلى نفسه ولا لدفع مضرة عنها بل على معنى أنه لا يقصد في فعله جر المنفعة ودفع المضرة قد سقطت عنه حظوظ نفسه ومطالبة مـــنافعها بمعـــنى القصد والنية ولا بمعنى أنه لا يجد حظا فيما يعمل مما لله عليه يفعله لله لا لطمع ثواب ولا لخوف عقـــاب وهما أعنى الخوف والطمع باقيان معه قائمان فيه

غير أنه يرغب في ثواب الله لموافقة الله تعالى لانه رغب فيه وأمر أن يسأل ذلك منه ولا يفعله للذة نفسه ويخاف عقابه إجلالا له وموافقة له لانه خوف عباده ويفعل سائر الحركات لحظ الغير لالحظ نفسه كما قيل المؤمن يأكل بشهوة عياله .

- يقول القشيرى فمن فنى عن جهله بقى بعلمه ومن فنى عن شهوته بقى بانابته ومن فنى عن رغبته بقى بزهادته ومن فنى عن منيته بقىَ بإرادته .... ففناء عن النفس وصفاتها والبقاء بصفات الحق ثم الفناء عنها بشهود الحق ثم الفناء عنها باستهلاكه فى وجود الحق .(*)
- وحال البقاء أعلى رتبة من غيره فبعد فنائه عن حظوظه فالفناء تحقق سلبى عدمى بينما البقاء تحقق إيجابى فلا معارف ولاموضوع بل هو حضور اشراقى كلى ثبتته هذه الحضرة الإلهية فيسمى بالفتوحات فالمقام مقتم الجمع لاالتفريد أو مقام التوحيد ..الخ (*)

(*) راجع الرسالة ص ٤١ وما بعدها .
(*) الحركة عند الصوفية ص ١٣٩

- فجملة الفناء والبقاء أن يفنى عن حظوظه ويبقى بحظوظ غيره . فمن الفناء فناء عن شهود المخالفات والحركات بها قصدا وعزما وبقاء في شهود الموافقات والحركات بها قصدا وفعلا، وفناء عن تعظيم ما سوى الله وبقاء في تعظيم الله تعالى ومن فناء تعظيم ما سوى الله حديث أبي حازم حيث قال ما الدنيا أما ما مضى فأحلام وأما ما بقي فأمان وغرور وما الشيطان حتى يهاب منه لقد أطيع فما نفع وعصى فما ضر فكان كأنه لا دنيا عنده ولا شيطان .
- ومن فناء الحظوظ حديث عبد الله بن مسعود حيث قال ما علمت أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريد الدنيا حتى قال الله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة الآية فكان فانيا عن إرادة الدنيا . ومن ذلك حديث حارثة قال عزفت نفسي عن الدنيا فكأني أنظر الى عرش ربي بارزا فنى عن العاجلة بالآجلة وعن الاغيار بالجبار وحديث عبد الله بن عمر سلم عليه إنسان وهو في الطواف فلم يرد عليه وشكاه إلى بعض أصحابه فقال عبد الله إنا كنا نتراءى الله في ذلك المكان ومنها

حديـــث عامـــر بن عبد القيس قال لأن تختلف في الأسنة أحـــب إلي من أن أجد ما تذكرون يعني في الصلاة حتى قال الحسن ما اصطنع الله ذلك عندنا وفناء هو الغيبة عن الاشياء رأسا كما كان فناء موسى عليه السلام حين تجلى ربـــه للجـــبل فخر موسى صعقا فلم يخبر في الثاني من حالـــه عن حاله ولا أخبر عنه مغيبه به عنها وقال أبو سعيد الخزاز علامة الفاني ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا مـــن الله تعـــالى ثم يبدو باد من قدرة الله تعالى فيريه ذهاب حظه من الله تعالى إجلالا لله ثم يبدو له باد من الله تعالى فيريه ذهاب حظه من رؤية ذهاب حظه ويبقى[1]

(1) التعرف ١٢٢.

باب حال المشاهدة

قال أبو بكر الواسطى، رحمه الله : فالشاهد الــرب والمشــهود الكون : أعجمهم ثم أوحدهم

قال عمروبن عثمان المكى رحمه الله : المشاهدة مالاقت القلوب من الغيب بالغيب ولايجعلها عيانا ولايجعلها وجدا.

وقال أيضا المشاهدة وصلتين رؤية القلوب ورؤية العيــان ، لان رؤية القلوب عند كشف اليقين فى زيادة توهم وهو قول النبــى صلى الله عليه وسلم ، لعبد الله بن عمر رضى الله عنه "" أعبــد الله كأنك تراه ""

أما قوله عز وجل "" وهو على كل شي شهيد "" فقالوا مشــاهدة الاشياء بعين العبر ، ومعاينتها بأعين الفكر

وقال عمرو المكى رحمه الله : المشاهدة زوائد اليقين ، ســطعن بكوا شف الحضور ، غير خارجة من تغطية القلب

وقال ، أيضا : المشاهدة حضور بمعنى قرب ، مقــرون بعلــم اليقين وحقائقها وأهل المشاهدة على ثلاث أحوال :ـ

ألاول منها : الاصاغر ، وهم المريدون وهو ماقاله ابــو بكــر الواسطى رحمه الله يشاهدون الاشياء بعين العبر ، يشــاهدونها بأعين الفكر

الحال الثانى: الأوساط ، وهو الذى أشار اليه أبو سعيدالخراز رحمه الله حيث يقول : الخلق فى قبضه الحق وفى ملكه ، فاذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لايبقى فى سره ولا فــى همه غير الله تعالى٠

الحال الثالث: مأاشار اليه عمرو بن عثمان المكى رحمه الله فى كتاب المشاهده فقال : ان قلــوب العارفينشــاهدت الله مشــاهدة تثبيت فشاهدوه بكل شئ ، شاهدوا كل الكائنــات بــه ، فكانــت مشاهدتهم لديه ولهم به فكانوا غائبين حاضــرين ، وحاضــرين غائبين على انفراد الحق فى الغيبه والحضور ، فشاهدوه ظاهرا وباطنا ، واطنا وظاهرا ، واخرا وأولا ، وأولا وأخرا

فقال عز وجل "" هو الاول والاخر والظاهر والاطن وهو كــل شئ عليم "

والمشاهده : حال رفيع وهى من لوائح زيادات حقــائق اليقــين وتقتضى حالة اليقين ٠

باب حال اليقين

قال الشيخ " الطوسى " رحمه الله : وقد ذكر الله تعالى اليقين فى مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه على اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين

واليقين هو المكاشفة ، والمكاشفة على ثلاث أوجه :ـ

مكاشفة العيان بالابصار يوم القيامة ، **ومكاشفة القلوب** بحقائق الايمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولاحد

والحالة الثالثة : **مكاشفة الايات** باظهار القدرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات ولغيرهم بالكرامات والاجابات

واليقين : حال رفيع وأهل اليقين على ثلاث أحوال :ـ

فالاول : الاصاغر وهم المريدون والعموم

الثانى : الأوساط وهم الخصوص وهو ماسئل أبن عطاء عن اليقين فقال زالت فيه المعارضات على دوام الاوقات

الثالث : الاكابر وهم خصوص الخصوص وهو ماقال عمرو بن عثمان المكى رحمه الله اليقن فى جملته تحقيق الاثبات لله عز وجل كل صفاته

واليقين اصل جميع الأحوال واليه تنتهى جميع الأحوال ، وهو أخر الاحوال ، وباطن جميع الاحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ونهاية اليقين : تحقيق التصديق بالزالة كل شك وريب ،

ونهاية اليقين :الاستبشار وحلاوة المناجاة وصفاء النظر الى الله تعالى ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بازالة الملل ومعارضـــة التهم ٠ [١]

---

[١] اللمع الطوسى ت د/عبد الحليم محمود طه عبد الباقى سرور ٠سور ص١٠٢

صور من حياة الزهاد الأوائل

أبو ذر الغفاري

رضى الله عنه

اسلامه رضى الله عنه :-(١)

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو عبدالملك أحمد بن ابراهيم القرشي ثـنا محمـد بـن عائذ ثنا الوليد بن مسلم ثنا أبو طرفة عباد بن الريان اللخمي قال سمعت عروة بن رويم يقول حدثني عامر بن لديـن قال سمعت أبا ليلى الأشعري يقول حدثني أبو ذر قال إن أول مـا دعاني إلى الإسلام أنا أصابتنا السنة فحملت أمي أخي أنيسـا إلـى أصهار لنا بأعلا نجد فلما حللنا بهم أكرمونا فمشى رجـل من الحي إلى خالي فقال إن أنيسا يخالفك إلى أهلك فحز فـي قلـبه فانصرفت من رعية إبلي فوجدته كئيبا يبكي فقلت ما بكـاؤك يا خال فأعلمني الخبر فقلت حجز الله من ذلك إنا نعاف الفاحشـة وإن كان الزمان قد أخل بنا فاحتملت بأخي وأمي حتى نزلنا بحضرة مكة فأتيت مكة وقد بلغني أن بها صابئا أو مجنونا أو ساحرا فقلت أين هذا الذي تزعمونه قالوا ها هو ذاك حيثرى فانقلبت إليه فوالله ما جزت عنهم قيد حجر حتى أكبوا علي بكل عظـم وحجـر ومدر فضرجوني بدمي فأتيت البيت فدخلت بين الستور والبناء وسومت فيه ثلاثين يوما لا آكل ولا أشرب إلا من

(١) راجع حلية الأولياء .

مـــاء زمـــزم قال فلما أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بـــيدي أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا أبـــا بكر فقال هل كنت تأله في جاهليتك قال قلت نعم لقد رأيتني أقـــوم ثم الشمس فلا أزال مصليا حتى يؤذيني حرها فأخر كأني خفـــاء فقال لي فأين كنت توجه فقلت لا أدري إلا حيث يوجهني الله عز وجل حتى أدخل الله علي الإسلام

صبره وقوة ايمانه

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فعلمني الإسلام وقرأت من القرآن شيئا فقلت يـــا رسول الله إني أريد أن أظهر ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أخاف عليك أن تقتل قلت لا بد منه وإن قتلت قال فسكت عني فجئت وقريش حلقا يتحدثون في المسجد فقلت أشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدا رسول الله فانتقضت الخلق فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نصب أحمر أنهم قد قتلوني فأفقت فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما بي من الحال فقـــال لـــي ألـــم أنهك فقلت يا رسول الله كانت حاجة في نفسي

فقضـــيتها فأقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إلحق بقومك فاذا بلغك ظهوري فأتني

*وفى رواية أخرى أن (أبا ذر ... دخل على رسول الله صــلى الله علــيه وسلم فقال يا رسول الله مرني بما شئت فقال ارجــع إلـــى أهلك حتى يأتيك خبري فقلت والله ما كنت لأرجع حـــتى أصـــرخ بالإسلام فخرج إلى المسجد فصاح بأعلا صوته فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقال المشـــركون صـــبأ الرجل صبأ الرجل فقاموا إليه فضربوه حتى ســقط فمـــر به العباس فقال يا معشر قريش أنتم تجار وطريقكم على غفار أتريدون أن يقطع الطريق فأكب عليه العباس فتفرقوا فلمـــا كـــان الغد عاد إلى مثل قوله فقاموا إليه فضربوه فمر به العباس فقال لهم مثل ما قال ثم أكب عليه.

* **من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه**

عـــن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه (قال أوصـــاني خليلـــي صلى الله عليه وسلم بست حب المساكين وأن انظـــر إلى من هو تحتي ولا أنظر إلى من هو فوقي وأن أقول

تريدون فخذوا منه ما يصلحكم قالوا ما يصلحنا قال حجوا حجة لعظـــام الأمـــور صـــوموا يوما شديدا حره لطول النشور صلوا ركعتيـــن في يخلو الليل لوحشة القبور كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها اجعل الدنيا مجلسين مجلسا في طلب الآخرة ومجلسا في طلـــب الحـــلال والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده اجعل المال درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لآخرتك والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده ثم نادى بأعلى صوته يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا٠

ومن صور ترهيبه :-

*حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثـــنا عـــبدالله بن محمد قال سمعت شيخا يقول بلغنا أن أبا ذر كان يقول يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق صلوا في ظلمـــة اللـــيل لوحشة القبور،صوموا في الدنيا لحر يوم النشور تصدقوا مخافة يوم عسير يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق ٠

ومن أقواله في التقوى :-

*حدثـنا حبيب بن الحسن ثنا أبو مسلم الكشي ثنا عبدالرحمن بن حماد الشعيثي ثنا كهمس عن أبي السليل عن أبي ذر رضي الله تعـالى عنه قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتلو علي هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فما زال يقولها ويعيدها علي ه

أدب العلم والتعلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم *

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا جعفر الفريابي وحدثنا سليمان بن أحمد ثنا أحمد بن أنس بن مالك قالا ثنا ابراهيم بن هشام بن يحـيى بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولانـي عـن أبي ذر رضي الله عنه قال دخلت المسجد وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فجلست إليه فقال أبا ذر إن للمسـجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما قال فقمت فركعـتهما ثم عدت فجلست إليه فقلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصـلاة فما الصلاة قال خير موضوع استكثر أو استقل قلت يا رسـول الله فأي الأعمال أفضل قال إيمان بالله عز وجل وجهاد فـي سبيله قال قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أكملهم إيمانا قال

أحســـنهم خلقا قال قلت يا رسول الله فأي المؤمنين أسلم قال من سلم الناس من لسانه ويده قال قلت رسول الله فأي الهجرة أفضل قال من هجرَ السيئات قال قلت يا رسول الله فأي الصلاة أفضل قـــال طول القنوت قال قلت يا رسول الله فما الصيام قال فرض مجـــزي وعـــند الله أضـــعاف كثيرة قال قلت يا رسول الله فأي الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه قال قلت يا رسول الله فأي الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا وأنفسها ثم ربها قال قلت يا رسول الله ...الخ.)(*)

(*)

أبو الدرداء رضي الله عنه

أبو الدرداء رضي الله عنه

تفكر أبي الدرداء

وفى هذا الإطار يطالعنا قول الله تعالى (إن فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحنك فقنا عذاب النار)٠وهكذا يدفع التفكر صاحبه إلى زيادة اليقين وهو مطلوب فى الاء الله ونعمه مرفوض فى جانب الله من ناحية الذاتية٠٠الخ ونورد الان بعضا مما أورده صاحب الحلية من نبأ ابى الدرداء رحمه الله وطيب مثواه ٠(١)

حدثنا سليمان بن أحمد املاء ثنا أبو زرعة الدمشقي ثنا أبو نعيم ثنا مالك بن مغول قال سمعت عون بن عبدالله بن عتبة يقول سألت أم الدرداء ما كان أفضل عمل أبي الدرداء قالت التفكر والاعتبار رواه وكيع عن مالك مثله ٠

• حدثنا سعيد بن محمد بن إبراهيم ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا إبراهيم بن إسحاق ثنا قيس بن عمار الدهني عن سالم بن

---

(١) راجع حلية الاولياء ٠

أبـــي الجعد عن معدان عن أبي الدرداء أنه قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة •

ايثار الباقي على الفاني •

حدثـــنا ابن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا أبو المغـــيرة ثنا جرير قال حدثنا حبيب بن عبدالله أن رجلا أتى أبا الـــدرداء وهو يريد الغزو فقال يا أبا الدرداء أوصني فقال أذكر الله فـــي السراء يذكرك في الضراء وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير •

حدثنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن شبل ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثـــنا معاوية بن هشام ثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال مرا ثوران على أبي الدرداء وهما يعملان فقام أحدهما ووقف الآخر فقال أبو الدرداء إن في هذا لمعتبر •

التجارة الملهية

حدثـنا أبو عمرو بن حمدان ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبدالله ثنا عمـرو بن تبيبا ثنا المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال قال أبو الدرداء بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأنا تاجـر فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة فلم يجتمعا فرفضت

التجارة وأقبلت على العبادة والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوتا على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة ربح فيه كل يوم أربعين دينارا وأتصدق بها كلها في سبيل الله قيل له يا أبا الدرداء وما تكرهْ من ذلك قال شدة الحساب رواه محمد بن جنيد التمار عن المحاربي فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه ورواه خيثمة عن أبي الدرداء نحوه

• حدثنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن أبي سهل ثنا عبدالله بن محمد العبسي ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة قال قال أبو الدرداء كنت تاجرا قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد زاولت العبادة والتجارة فلم يجتمعا فأخذت في العبادة وتركت التجارة

• حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد حدثني أبي ثنا عبدالصمد ثنا عبدالله بن بجير قال ثنا أبو عبد رب قال قال أبو الدرداء ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في

المسجد ما أقول إن الله عز وجل لم يحل البيع ويحرم الربا ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

•حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال قــرأت على أبي هذا الحديث حدثكم أبو العلاء الحسن بن سوار ثــنا ليث يعني ابن سعد عن معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك أنه رأى في المنام قبة من أدم ومرجا أخضر وحول القبة غنم ربوض تجتر وتبعر العجوة قــال قلت لمن هذه القبة قيل لعبدالرحمن بن عوف قال فانتظرنا حــتى خرج قال فقال يا عوف هذا الذي أعطانا الله بالقرآن ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت ما لم تر عينك ولم تسمع أذنك ولم يخطر على قلبك أعده الله سبحانه وتعالى لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر

•التعرف على المنعم

حدثــنا أبــو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال أبو

الــدرداء من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر عذابه ومن لم يكن غنيا عن الدنيا فلا دنيا له

• حب الأخيار

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أحمد بن المعلى ثنا محمود بن خالد ثنا عمــرو بن عبدالواحد عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن أبا الــدرداء كان يقول لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم وما بالحق فعرفــتموه فــإن عــارف الحــق كعامله رواه ابن المبارك عن الأوزاعي مثله

• السعي للعلم والتعرض له

حدثــنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال قال أبو الــدرداء ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات

• *التأني في الحكم على الأشياء*

حدثــنا أحمــد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنــي أبــي ثنا إسماعيل بن علية ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة قال قال أبو الدرداء إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن

وجوهــا وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس •

رفق العيش

حدثــنا إبراهيم بن عبيدالله ثنا محمد بن إسحاق ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الفرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال من فقه الرجل رفقه في معيشته •

حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا داود بن عمــرو ثــنا اســماعيل بن عياش حدثني شرحبيل بن مسلم عن شــريك بــن نهــيك عن أبي الدرداء قال من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه مع أهل العلم •

البعد عن الغرور

حدثــنا أحمــد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد حدثني أبي ثنا يزيد أخــبرنا أبــو سعيد سنان عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم ومــثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين •

عظة وعبرة

حدثنا عبدالرحمن بن العباس بن عبدالرحمن ثنا إبراهيم بن اسحاق الحربي ثنا الهيثم بن خارجة ثنا اسماعيل بن عياش عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون أو روحوا فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظا يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له .

حب الابتلاء

حدثنا عبدالرحمن بن العباس ثنا إبراهيم الحربي ثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرة قال قال أبو الدرداء ثلاث أحبهن ويكرههن الناس الفقر والمرض والموت .

توضيح ما سلف

حدثنا عبدالرحمن بن العباس ثنا إبراهيم الحربي ثنا علي بن الجعد أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن شيخ عن أبي الدرداء قال أحب الموت اشتياقا إلى ربي وأحب الفقر تواضعا لربي وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي .

معاقبة وحساب النفس اولا واخرا

حدثـنا محمـد بـن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا أبو عبدالرحمـن المقـرئ ثنا المسعودي عن أبي الهيثم قال قال أبو الدرداء لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا ولا تحاسبوا الناس دون ربهم ابـن آدم عليك نفسك فإنه من تتبع ما يرى في الناس يطل حزنه ولا يشف غيظه •

حدثنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن شبل ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبدالله بن مرة •

عقـال قـال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه اعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا أن قليلا يغنيكم خير من كثير يلهيكم واعلموا أن البر لا يبلى وأن الإثم لا ينسى •

<u>من وجوه الخير (الحلم والعلم الاستغفار)</u>

حدثنا عبدالله بن محمد ثنا محمد بن أبي سهل ثنا عبدالله بن محمد العبسي ثنا أبو أسامة عن خالد بن دينار عن معاوية بن قرة قال قـال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولـدك ولكـن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك وأن تباري

الناس في عبادة الله عز وجل فإن أحسنت حمدت الله تعالى وإن أسأت استغفرت الله عز وجل •

عصارة الدنيا

حدثـــنا محمـــد بـــن أحمـــد بـــن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا عبدالرحمن المقرئ ثنا سعيد بن أبي أيوب عن عبدالله بن الوليد عـــن عباس بن جليد الحجري عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال لولا ثلاث خلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا فقالت ومـــا هـــن فقال لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف اللـــيل والنهار يكون تقدمه لحياتي وظمأ الهواجر ومقاعدة أقوام ينـــتقون الكـــلام كما تنتقى الفاكهة وتمام التقوى أن يتقى الله عز وجـــل العـــبد حتى يتقيه في مثل مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يـــرى أنـــه حلال خشية أن يكون حراما يكون حاجزا بينه وبين الحـــرام إن الله تعـــالى قد بين لعباده الذي هو يصيرهم إليه قال تعـــالى من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يـــره فـــلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه ولا شيئا من الخير أن تفعله •

رفع العلم وقبضه وخطورة ذلك

حدثنا محمد بن بدر ثنا حماد بن مدرك ثنا عمرو بن مرزوق ثنا زائــدة عــن منصــور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رضـــي الله عــنه قــال مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يــتعلمون فإن معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في سائر الناس بعدهما

أصناف الناس

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا يحيى بن إســحاق ثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء رضـــي الله تعالى عنه أنه قال الناس ثلاثة عالم ومتعلم والثالث همج لا خير فيه

فضل العلم :-

حدثـــنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علوية ثنا علي بن الجعد ثنا شــعبة عــن عمــرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال قال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه تعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في سائر الناس بعدهما •

•حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا أبو عبدالرحمن المقرئ ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال كان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فما عملت فيما علمت •؟.

•حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا سريج بن يونس ثنا الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن أبيه عن أبي الدرداء رضي لله تعالى عنه قال أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة يا عويمر أعلمت أم جهلت فإن قلت علمت لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها الآمرة هل ائتمرت والزاجرة هل ازدجرت وأعوذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع •

• حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا بشر بن الحكم ثنا عبدالرزاق ثنا معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان رضي الله تعالى عنهما يا أخي اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد رده

واغتــنم دعــوة المبتلى ويا أخي ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المساجد بيت كل تقي وقـد ضـمن الله عــز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز على الصراط إلى رضوان الرب عز وجل ويا أخــي ارحــم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك فإني سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحب أن يلين قلبك فقــال نعم قال أدن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فــإن ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك ويا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجــاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله تعالى فيها وهو بين يدي ماله وماله خلفه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت الحق الذي عليك قال ويجاء بالذي لم يطع الله فيه وماله بيــن كتفيه فيعثره ماله ويقول له ويلك هلا عملت بطاعة الله عز وجــل في فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل ويا أخي إني حدثت أنك اشتريت خادما وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم فإذا خدم وجب عليه

الحساب وإن أم الدرداء سألتني خادما وأنا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب ويا أخي من لي ولك بأن نوافي يوم القـيامة ولا نخاف حسابا ويا أخي بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنا قد عشنا بعده دهرا طويلا والله أعلم بالذي أصبنا بعـده رواه ابن جابر والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان مثله

الترهيب والتخويف

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل ثنا داود بـن عمرو ثنا عبثر ثنا برد عن حزام بن حكيم قال قال أبو الـدرداء لـو تعلمون ما أنتم راءون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فـيه ولخرجـتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أنكم شجرة تعضد ثم تؤكل

• حدثـنا محمد بن علي بن حبيش ثنا موسى بن هارون الحافظ ثنا أبـو الربـيع وداود بن رشيد قالا ثنا بقية ثنا بحير بن سعيد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول ذروة الإيمان الصبر

للحكم والرضى بالقدر والإخلاص في التوكل والاستسلام للرب عز وجل

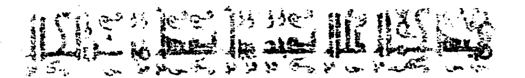
بكاء مرير

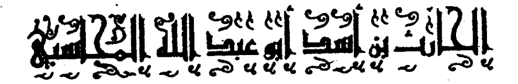
• حدثنا أحمد بن جعفر بن مالك ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو حدثني عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال الوليد وحدثنا ثور بن خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال لما حسنة قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعضورأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله قال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى •

• وصية فراش الموت

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا الوليد ثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيدالله عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول من يعمل لمثل

يومـــي هذا من يعمل لمثل ساعتي هذه من يعمل لمثل مضجع هذا ثم يقول ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مر وكانت وفاته رضى الله عنه سنة١ ٣هـ .




الحارث بن أسد أبو عبد الله المحاسبي

*قال عنه الخطيب البغدادى :-

أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن وحدث عن يزيد بـن هـارون وطبقته روى عنه أبو العباس بن مسروق الطوسي وغيره وللحارث كتب كثيرة في الزهد وفي أصول الديانات والرد على المخالفين مـن المعتزلة والرافضة وغيرهما وكتبه كثيرة ملكا جمة المنافع(ناهزت كتبه المائتين فى الفقه والحديث والكلام والتصوف وغيرها .

•من مؤلفاته فى رسالة المسترشدين •وكتاب التوهم والوصايا والرعاية لحقوق الله ...ألخ رسالة فى المبادئ العشر الموصلة الى السعادة شرح المعادن وبذل النصيحة •رسالة فى الأخلاق - رسالة فى العظمة - رسالة فى فهم الصلاة(*)

* وفـوق هذا كله هو أحد أعلام الشافعية . اعتزل الحياة العامة وألقى بنفسـه بين أحضان التصوف * فقد نشأ فى عصر تتدواله آراء النصيين ويمـثلهم الإمـام أحمـد بن حنبل والعقليين ويمثلهم أنصار المعتزلة فى البصـرة والكوفـة وبغداد وهو صراع طبيعى لايخلو من مثله دين من الأديـان(*) وطبـيعي أن يدخل المحاسبى هذا المعترك ليعلن عن مذهبه الذوقـى وليوجد طوائف أخرى تتكلم عن المحبة والأنس وفى هذا غير مـنكر للعقـل ولا هـادم للـنص . واستمرت الخصومة بين النصيين والبصريين ويمثلهم الإمام المحاسبى والعقليين ويمثلهم المعتزلة كل هذه الأمـور أدت بالإمام إلى اعتزال الحياة وعدم تعريض نفسه للفتن والقتل

(*) راجع التصوف المقارن د/غلاب ص٥٣
(*) راجع المنقذ من الضلال - الغزالى - ت د/عبد الحليم محمود ص ٢٣٠

يقول عن الدنيا (ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين وتركها مع نسيانها صفة العارفين) .

• أنــبأنا أبو نعيم الحافظ أخبرني جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد بــن محمد يقول كان الحارث المحاسبي يجيء الى منزلنا ويقول نصحر فــأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي الى الطرقات والآفات ورؤيــة الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فاخرج معه بالحق الطــريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت في المكان الــذي يجلس فيه قال لي سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي ســلني عما يقع في نفسك فتنثال على السؤالات فاسأله عنه فيجيبني عنها للوقــت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتبا قال وسمعت الجنيد يقول كنت كثــيرا أقــول للحــارث عزلتي أنسي تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم أنسي وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم) .

الحارث والفاقة

•قــال عنه الجنيد كان الحارث كثير الضر واجتاز بي يوما وأنا جالس علــى بابنا فرأيت على وجهه زيادة الضر من الجوع فقلت له يا عم لو دخلــت إليــنا نلــت من شيء عندنا قال أو تفعل قلت نعم وتسرني بذلك وتبرني فدخلت بين يديه ودخل معي وعمدت الى بيت عمي وكان أوسع مــن بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكون مثلها في بيتنا سريعا فجئت بأنواع كثيرة من الطعام فوضعته بين يديه فمد يده وأخذ لقمة فرفعها الى

فـــيه فرأيـــته يلوكها ولا يزد ردها فوثب وخرج وما كلمني فلماكان الغد لقيـــته فقلـــت يا عم سررتني ثم نغصت علي قال يا بني اما الفاقة فكانت شـــديدة وقـــد اجتهدت في أن أنال من الطعام الذي قدمته إلي ولكن بيني وبيـــن الله علامة إذا لم يكن الطعام مرضيا ارتفع الى انفي منه زفرة فلم تقـــبله نفسي فقد رميت تلك اللقمة في دهليزكم هذا حاله على الرغم من تـــرك والـــده سبعين الف درهم له لكنه تورع عنها مع حاجته اليها لان والده كان قدريا فتركها تورعا .(*)

الرجوع للأصل الثابت :-

قـــال شـــهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إيـــاك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنـــيك عن هذه الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة .

وفاته:-

ومات سنة ثلاث وأربعين ومائتين(١)

قال الجنيد يقول مات أبو حارث المحاسبي يوم مات وإن الحارث لمحتاج إلى دانق فضة وخلف مالا كثيرا وما أخذ منه حبة واحدة وقال أهل ملتين لا يتوارثان وكان أبوه واقفيا(*).

٥

(*) راجع الرسالة ص ٢٤٩ .

(١) راجع تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢١٥ طدار الكتب العلمية بيروت

(*) راجع الرسالة ٩ ١٤

من أقوال العلماء فيه :-

*قال عنه عبد الله بن البقاء اقتدوا بخمسة من شيوخنا الحارث المحاسبي والجنيد بن محمد وأبو رويم وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكي لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .(*)

*وقال عنه السبكي عالم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين الجامع بين علمي الباطن والظاهر ....الخ(*٢)

*وقال عنه ابن الصلاح(ولم يكن في أصحاب الشافعي في الفقه والكلام والأصول والقياس والزهد والورع إلا الحارث المحاسبي كان مغبرا في وجوه مخالفيه(*)

*وقد بلغت أقواله حول النفس وتحليلها الآفاق بحيث لاتجد لها مثيلا في الآداب العالمية إلا نادرا (*)

*يقول (فاختبر نفسك حتى تعلم أن ما فيها وإن أردت ذلك فعاملها بالموافقة لها والمباينة لهمتها في وقت الهمة واحد وانظر إليها حتى تعرفه أخلاقك في الوقت الذي عرض لك فيه سفيه فسفه عليك ليس في الوقت الذي وافق هواك)(*)

(*)الرسالة – القشيري ص ٢٤٩

(*٢) راجع طبقات الشافعية السبكي ج٢ ص٢٧٥

(*) نفسه ج٢ ص ٢٧٥

(*)مقدمة الرعاية لحقوق الله للمحاسبي د/ عبد الحليم محمود

(*)راجع آداب النفوس المحاسبي ت عبد القادر احمد عطا ط مؤسسة الكتب الثقافية الثانية ١٩٩٢

وهـــو صاحب مدرسة معتدلة ببغداد سار على دربها كثير من الصوفية الأعـــلام منهم الجنيد ت ٢٩٧هـ وأبو حمزة البغدادى ٢٩٨هـ ٠٠٠الخ وقد تبع دربه الغزالى ت٥٠٥هـ

ونستعرض الآن طرفا من أقواله فى مقامات وأحوال العارفين ٠

أولا:– المعرفـــــة

تتمثل فى قوله (لكل شيء جوهر وجوهر الإنســـان العقـــل وجوهـــر العقـــل التوفيق) فهو لم يلغ العقل كما فعل النصيون،ولم يعتمد على العقل وحده كما فعل العقليون ولم يقل بالظاهر دون الباطن وكذا العكس وإنما المعرفة عنده أساس من العلم والتقوى ٠ ولكـــنه لـــم يسلم من الطعن والمهاجمة من المعتزلة والمتكلمين بدعوى تفرقـــته بين العلم والعقـــل ٠كما تناوله أرباب التفسير والحديث بدعوى التفرقة بين الظاهر والباطن(*) كما أنه تحدث عن نهج آخر غير الطريق العـــادى التقليدى كان يتحدث فى الإخلاص،وفى الورع،وفى الزهد وفى الخشوع الخالص لله وكان يتحدث فى محبة الله والانس به والقرب منه وكـــان حديـــثه عذبا طلقا ساميا فكانت القلوب تخشع له الافئدة وتلين له القلـــوب وتســـيل له الدموع ٠٠٠٠الخ (*) وبهذا يكون المحاسبى قد اهتم

(*) راجع تاريخ بغداد ج٨ ٢١١٠
راجع التصوف الاسلامى بين أنصاره وخصومه د/المراكبى ٢٣٤
(*) راجع المنقذمن الضلال الامام الغزالى ت د/عبد الحليم محمود ص ٢٣٢٢ط دار المعارف

بمسائل الدين وتطرق إلى الفلسفة انطلاقا إلى اللاهوت كما انتقد المعتزلة واقــر بســلطان العقل المحدود فهو غير قادر علــى حل مسائل ماوراء الطبيعة أما الاجتهاد فيبقى احتماليا لأن النص مفقود . (**)

ثانيا:- حقوق الله تعالى

*يرى المحاسبى أن الخلق عليهم جميعا معرفة حقوق الله تعالى بأسبابها وعللها ووجوبها وفيم هى وأيها يبدأ الله عزوجل به خلقه وأيها أوجب أن يــبدأ به الأول ...ألخ .) إن طريق الاتباع هو المعول عليه والمأمور بــه هــذا ما أراده المحاسبى وبذلك تدور الدائرة حول الاعتقاد ومجانبة الكفر واعتقاد السنة ومجانبة البدعة .

*ويربط المحاسبى العبادة بالعلم مع النية فالطاعة هى دليل نجاتك والعلم هــو الدلــيل علــى السبيل فعندما يعلم العبد بمكانته من ربه وأنه المنعم فيسعى لنيل رضا مولاه و فى هذا يصحح نيته التى تحتاج لتقى أصلها . يقول المحاسبى عن محاسبة النفس

(اعرف صبرك عند ترك الشهوة قد ملكها هل تستطيع تركها على ذلك ام لا ؟اعرف ورعك عند الحالة التى استمكنت منها هل تستطيع الوقوف عــندها إذا التبســت عليك أم لا ...ألخ ومن محاسبتك لها أن تخلو بها تــرد عليها فعالها فتقول يانفس إنك لاتقدرين أن تخادعى الله لاتغالبيه فلا تقبلى الشيطان ولامغالبته ولاتبتغى هواك فيرديك و يهلكك . ()

(**) راجع موسوعة اعلام الفلسفة العرب والاجانب ت شارل حلو اعداد رونى ابى الفا د/جورج نخل جالاول ص ٤٠٢ ط دار الكتب العلمية

() راجع اداب النفوس ص ٩٦ ما بعدها

ثالثا :- الظاهر والباطن

لايفصـــل الإمـــام المحاســـبى علم الشريعة إلى قسمين لاصلة لأحدهما بالآخر ظاهرو باطن إن الرجل يرى أنه علمواحد فلابد من العمل الباطنى الذى يتمثل فى الإيمان الصادق الكامل بأمر الله ٠٠ألخ من أعمال القلب الــتى لايــراها ولايعلمهـــا إلاالله تعالى كذلك الأعمال الظاهرة من نحو العـــبادات مـــن صلا ة وصيام ٠٠٠ألخ من عمل الجوارح فلا فصل بينهما ٠

*يقول المحاسبى من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنة ٠(*)

ويقـــول (من اجتهد فى باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهرة ومن حسن معاملة ظاهره مع جهد باطنه ورثه الله الهداية اليه لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (**)

رابعا :- الزهـــــد

يعتبر مقام الزهد من المقامات التى دار حولها النقاش قبولا ورفضا وذلك فـــى محاولـــة لفهمـــه والعمل به فهل يتركز حول امتلاك المال والثراء العريض أهو مقبول أو مكروه ٠ما هو موقف الدين من ذلك ؟ ولقد ملك

(*) راجع الرسالة ص ١٣
(**) نفسه ص ١٤ ٠ والاية من سورة العنكبوت ٦٩

علـــى ظاهره بدنه وقلبه مشغول بالرغبة فقد استقل كل ما صار إليه من الدنيا (*).

خامسا :-الرضـــــا

ومن أقواله فى الرضا :-

آن العبد اذا نظر الى ما كتبه الله عليه اما :-

*-أن يغضب ويسخط وهو ما لايرضاه الاسلام

وإما أنّ يصبر وهو فى رأى المحاسبى أقّل درجات الإيمان الواجب وهو يجب على العبد وجوب الورع ٠

*وإمـــا أنّ يرضى بما كتبه الله وهو راحة القلب واطمئنانه إذا نظر العبد الى ما اراده الله له ٠

*كمـــا أنّـــه يرى الأخذ بالأسباب مع الرضا فمن يحرم الدواء فى حال المرض فهو ضال وأن من لايرجو من الله شيئا فهو ضال ٠(*)وباعتبار الـــراحة القلبـــية للرضـــا بمـــا قضاه الله اعتبر الهجو يرى ما سطره المحاسبى عن الرضا حالا لامقاما فهى ليست من الصفات المكتسبة وإنما هـــى من نعم الله على العبد ولكن المحاسبي يذكره ضمن المقامات فقد سأله سائل ما السبيل إلى الرضا فأجاب (علم القلب بأنّ المولى عدل فى قضـــائه غـــير مـــتهم وأنّ اختيار الله له خير من اختياره لنفسه فحينئذ أبصرت العقول وأيقنت القلوب وعلمت النفوس وشهدت لها العلوم أن الله

(*) راجع أستاذ السائرين ٠ د/ عبد الحليم محمود ص ٢٩٤ ط دار المعارف ط دار الكتب الحديثة ٠
(*) نفسه

أجــرى بمشئيته ما علم خير لعبدهفى اختياره ومحبته وعلمت القلوب ان العدل من واحد ليس كمثله شئ ٠٠٠٠)(*)

الخــــوف

عــبد الله بــن ميمون قال سمعت الحارث المحاسبي يقول أنشدني عبد العزيــز بن عبد الله الخوف أولي بالمسيء إذا تأله والحزن والحب يحســن بالمطيع وبالنقي من الدرن والشوق للنجباء والأبدال عنه ذوي الفطــن •

حسن الخلق

عــن محمد بن مسروق يقول سمعت حارثا المحاسبي يقول ثلاثة أشياء عزيــزة أو معدومــة حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الإخاء مع الأمانة •

(*) حلية الاولياء ج١٠ ص ٨٩

من أعلام التصوف الفلسفى

أبو يزيد البسطامى[1]

قبل أن نتاول الحديث عن ابى يزيد البسطامى يقضينا المقـــام أن نبين أننا بصدد دراسة هذه الآرإء باعتبار أنها سيقت فى البيئة الاسلامية فهى ليست من الإسلام وإنما هى دخلية على التصوف السنى والحكايات عن أبى يزيد مختلفة ومـــن هـــذا المنطلق فإننا بصدد تناولنا لها إنمـــا نكشـــف عمـــا ورائهـــا والمقصود بها ورؤية أرباب التصوف السنى فيها ٠

: أبو يزيد البسطامى (١) (ت ٢٦١ه /٨٠٤م) وكـــان قـــد غلب عليه حال الفناء حتى كان لايرى فى نومـــه. ولا فـــى يقظته غير الله تعالى ولا يوافق ولايطالع سواه وهو أول من استخدم لفظ الفناء بالمعنى الصوفى الـــدقيق (٢) أى بمعنـــى

---

[1] هو ابو يزيد طيفور بن عيسى بن ادم بنسروشانولايعرف عنه من اه تتمك فى سوريا زمنا ثم شغف بروية العلماء ولما عاد الى بيسطام لم يستطع مواطنوه ان يفهموه فهم مبادئهفطردوه من بلده خمس مرات ثم توفى سنة ٢٦١ او سنة ٢٦٤ ٠ راجع التصوف المقارن د محمد غلاب ص ٥٣ وما بعدها ٠ ط نهضة مصر

محو النفس الإنسانية وآثارها وصفاتها ويعد بحق أول واضع لهذا المذهب(١)

أقواله :-يقول عنهاد/غلاب إنها كانت إحدى طلائع التصوف النظرى وأنه أول من نشر فكرة الفناء فى البيئات العربية ·
سئل عن المعرفة ومنبعها فأجاب ببطن جائع وبدن عار(٢) وقال أيضا لو نظرتم الى رجل اعطى كرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود واداء الشريعة ·(٣).

ولكن يبدوتطورا واضحا فى أقواله فمن ذلك قوله : للخلق أحوال ولاحال لعارف لانه محيت رسومه وفنيت هويته هويه غيره وغيبت اثارة اثار غيره ········الخ
ويقول " خرجت من الحق حتى صاح منى فىّ : يامن أنت أنا فقد تحققت بمقام الفناء فى الله (٤)

(١) راجع التصوف الاسلامى بين انصاره وخصومه أ·د عبد الرحمن المراكبى·
(٢)· راجع التصوف المقارن د محمد غلاب ص ٥٣ وما بعدها · ط نهضة مصر
(٣) راجع الحركة عند الصوفية د/محمد علي ابو ريان ·

من أقوال أبي يزيد كما نقلها صاحب الحلية .[1]

*حدثنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت يعقوب بن إسحاق يقول سمعت إبراهيم الهروي يقول سمعت أبا يزيد البسطامي يقول غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولا حتى طلبته .

*حدثنا عبدالواحد بن بكر قال قال الحسن بن إبراهيم الدامغاني ثنا موسى بن عيسى قال سمعت أبي يقول سمعت أبا يزيد يقول اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة إرادتهم فأن لم تعنهم فمن يعينهم .

*حدثنا عمر بن عثمان ثنا عبدالله بن أحمد بن موسى ثنا أحمد بن محمد بن جابان ثنا عمر البسطامي عن أبي موسى عن أبي يزيد قال إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار .

---

[1]

*حدثنا عمر بن أحمد ثنا عبدالله بن أحمد ثنا أحمد بن محمد ثنا عثمان عن أبي موسى قال قال أبو يزيد لم أزل ثلاثين سنة كلما أردت أن ذكر الله أتمضمض وأغسل لساني إجلالا لله أن أذكره

*حدثنا عثمان بن محمد العثماني ثنا أبوالحسن الـرازي قـال سمعت يوسف ابن الحسين يقول سمعت يحيى بن معاذ يقول قال أبو يزيد البسطامي لم أزل أجول في ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد ثم لم أزل أجول في دار التفريد حتـى خرجـت إلى الديمومية فشربت بكأسه شربة لا أظمأن من ذكره بعدها أبدا قال يوسف وكنت أسمع هذا الكلام هذا اللفظ من ذي النون وفيه زيادة كان ذو النون لا يبديها إلا في وقت نشاطه وغلبـة حالـه عليه فيقول ذلك ويقول بعده لك الجلال والجمال ولـك الكمـال سبحانك سبحانك قد ستك ألسن التماديح وأفواه التسابيح أنت أنت أزلى أزلي حبه لي أزلي ٠

*حدثنا أبو ا لفضل أحمد بن أبي عمران ثنا منصور بن عبـدالله قال سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول سمعت أبي يقـول قال أبو يزيد غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكري إياه فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا ٠

* حدثنا أحمد بن أبي عمران ثنا موسى ثنا منصور قـال جـاء رجل إلى أبي يزيد فقال أوصني فقال له أنظر إلى السماء فنظر

صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد أتدري من خلق هذا قال الله قال أبو يزيد أن من خلقها لمطلع عليك حيث كنت فاحذره

* حدثنا أحمد ثنا منصور ثنا موسى قال جاء رجل إلى أبى يزيد فقال بلغنى أنك تمر في الهواء قال وأى أعجوبة في هذه طيـــر يأكل الميتة يمر في الهواء والمؤمن أشرف من الطير قال ووجه إليه أحمد بن خرب حصيرا وكتب معه إليه صل عليـــه بالليــل فكتب أبو يزيد إليه إني جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة ووضعتها تحت خدي

*سمعت الفضل بن جعفر يقول سمعت محمد بن منصور سمعت عبيد يقول قال أبو يزيد طلقت الدنيا ثلاثا ثلاثا بتاتـــا لا رجعـــة فيها وصرت إلى ربي وحدي فناديته بالاستغاثة إلهـــي أدعـــوك دعاء لم يبق له غيرك فلما عرف صـــدق الـــدعاء مـــن قلبـــي والأياس من نفسي كان أول ما ورد علي من إجابة هذا الـــدعاء أن أنساني نفسي بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضـــي عنهم .

*حدثنا عمر بن أحمد بن عثمان ثنا عبيدالله بن أحمد ثنا أحمـــد بن محمد بن جابان ثنا عمر البسطامي عن أبي موسى عن أبـــي يزيد قال إن في الطاعات من الآفات مـــالا تحتـــاجون إلـــى أن تطلبوا المعاصي

حدثنا عمر ثنا عبيد ثنا أحمد ثنا عمر عن أبي موسى قال قال أبو يزيد ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر

خبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول سمعت أبي يقول قال أبو يزيد عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لتعبت واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد وقال أبو يزيد لا يعرف نفسه من صحبته شهوله وقال أبو يزيد الجنة لا خطر لها ثم المحبين وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم

*وسمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا الحسن المروزي يقول سمعت امرأة أبي يزيد البسطامي تقول سمعت أبا يزيد يقول عالجت كل شيء فما عالجت أصعب من معالجة نفسي وما شيء أهون علي منها سمعت أبا الحسن يقول سمعت أبا الحسن المروزي يقول سمعت امرأة أبي يزيد تقول سمعت أبا يزيد تقول دعوت نفسي إلى الله فأبت علي واستصعبت فتركتها ومضيت إلى الله.

* أحمد بن أبي عمران ثنا منصور بن عبدالله قال سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول سمعت أبي يقول قال أبو يزيد

وسئل ما علامة العارف فقال إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وقال عجبت لمن عرف الله كيف يعبده وقيل له إنــك مــن الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض فقال أنا كل السبعة وسئل متى يبلغ الرجل حد الرجال في هذا الأمر قال إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ مبلغ الرجال وقال إن لله عبادا لو حجبوا عنــه طرفة عين ثم أعطوا الجنان كلها ما كان لهم إليها حاجة وكيــف يركنون إلى الدنيا وزينتها

* سمعت الفضل بن جعفر يقول سمعت الحسن يقــول ســمعت عبيد بن عبدالقاهر يقول قال أبو يزيد البســطامي إن الله تعــالى ليرزق عبده الحلاوة فمن أجل فرحه يمنعه من وسئل عن درجة العارف فقال ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العــارف وجــوده ربه وقال عرفت الله بالله وعرفت ما دون الله بنــور الله وســئل بماذا يستعان على العبادة فقال بالله إن كنت تعــرف وقــال أدل عليك بك وبك أصل اليك وقــال نســيان الــنفس ذكــر بــارئ النسموقال من تكلم في الأزل يحتاج أن يكون معه ســراج الأزل وقال ما وجد الواجدون شيئا من الحضور إلا كانوا غائبين فــي حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم في حضورهم

*حدثنا عمر بن أحمد ثنا عبدالله بن أحمد ثنا أحمد بن محمد ثنا عمر عن أبي موسى قال سمعت أبا يزيد يقول يوما ما ذكــروه إلا بالغفلة ولا خدموه إلا بالفترة قال وسمعوه يوما وهو يقول لا

تقطعني بك عنك وسمعوه يوما وهو يقول أكثر النـــاس إشـــارة أبعدهم منه وسأله رجل من أصحب فقال من لا يحتاج أن تكتمه شيئا مما يعلمه الله منك وسمعوه يوما يقــول أقــربهم مــن الله أوسعهم على خلقه وسمعوه يوما وهو يقول لا يحمل عطايـــاه إلا مطاياه المذللة المروضة وسأله رجل من أصاحب فقال مــن إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عليك

* حدثنا أحمد بن أبي عمران ثنا منصور بن عبدالله قال سمعت موسىيقول سمعت أبي يقول بينا أنا قاعد خلف أبي يزيد يوما إذ شهق شهقة فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه وبين الله فقلــت يا أبا يزيد رأيت عجبا فقال يا مسكين وما ذلك العجــب فقلــت رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى وصلت إلى الله تعالى فقال يـــا مسكين إن الشهقة الجيدة هي التي إذا بدت لم يكن لهـــا حجـــاب تخرقه وسأله رجل فقال يا أبا يزيد العارف يحجبه شـــيء عـــن ربه فقال يا مسكين من كان هو حجابه أي شيء يحجبه

* أخبرنا أبو عمر بن حمدان قال وجدت بخط أبي سمعت أبـــا عثمان سعيد ابن إسماعيل يقول قال أبو يزيد من ســـمع الكـــلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهما يكلم به الناس ومن سمعه ليعامل الله رزقه الله فهما يناجي به ربه

* أخبرنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت أبا نصـــر الهروي يقول سمعت يعقوب بن إسحاق يقول ســـمعت إبـــراهيم

الهروي يقول سمعت أبا يزيد يقول هذا فرحي بك وأنـــا أخافـــك فكيف فرحي بك إذا أمنتك قال وسمعت أبـــا يزيـــد يقـــول رب أفهمني عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك قال أبو يزيـــدكفر أهـــل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة وقال ليت الخلق عرفوني فكفاهم من ذلك معرفتهم بأنفسهم قال وسئل أبو يزيد بم نالوا المعرفـــة قال بتضييع مالهم والوقوف على ماله وقـــال يتحقـــق الله علـــى قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمـــل المعرفـــة صـــرفا فشغلهم بالعبادة

*أخبرنا محمد بن الحسين قال سمعت منصـــورا يقـــول ســـمع يعقوب بن إسحاق يقول سمعت إبراهيم الهروي يقول سمعت أبا يزيد البسطامي وسئل ما علامة العارف قال ألا يفتر من ذكـــره ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره وقـــال إن الله تعـــالى أمـــر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خلعة مـــن خلعـــه فاشـــتغلوا بالخلع عنه وإني لا أريد من الله إلا الله

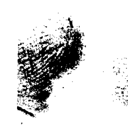
سمعت الفضل بن جعفر يقول سمعت محمد بن منصور يقـــول سمعت عبيد ابن عبد القاهر يقول قال أبو يزيد العارف فوق مـــا يقول والعالم دون ما يقول والعارف ما فرح بشيء قط ولا خاف من شيء قط والعارف يلاحظ ربه والعالم يلاحظ نفســـه بعلمـــه والعابد يعبده بالحال والعارف يعبده في الحال وثـــواب العـــارف

من ربه هو وكمال العارف احترافه فيه له وقال رجل لأبي يزيد علمني اسم الله الأعظم قال ليس له حد محدود إنما هــو أفطــر قلبك لوحدانيته فإذا كنت كذلك فارفع إلي أي اسم شــئت فأنــك تصير به إلى المشرق والمغرب ثم تجيء وتصف

*حدثنا أحمد بن أبي عمران قال سمعت منصور بــن عبــدالله يقول سمعت أبا عمران موسى يقول سمعت عمــر البســطامي يقول سمعت أبي يقول قال أبو يزيد انظر أن يأتي عليك ســاعة لا ترى في السماء غيــره ولا فــي الأرض غيــرك وقــال إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هبته وإذا فارقته هان عليك أمره والعارف إذا رأيته هبته وإذا فارقته هبته قال وسمعت أبا يزيــد يقول لأن يقال لي لم لا تفعل أحب إلي من أن يقال لي لم فعلــت وقال الذي يمشي على الماء ليس بعجب لله خلق كثيــر يمشــون على الماء ليس لهم ثم الله قيمة وقال الجوع سحاب فــإذا جــاع العبد مطر القلب الحكمة وسئل عن قوله إنا لله وإنا إليهراجعون قال إنا لله إقرار لله بالملك وإنا إليه راجعون إقرار على اليقــين بالملك

*سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول سمعت منصور بــن عبدالله يقول سمعت أبا عمران يقول سمعت عمــر البســطامي

يقول سمعت أبا يزيد يقول من لم ينظر إلى شاهد بعين الاضطرار وإلى أوقاتي بعين الاغترار وإلى أحوالي بعين الاستدراج وإلى كلامي بعين الافتراء وإلى عباراتي بعين الاجتراء وإلى نفسي بعين الازدراء فقد أخطأ النظر في



-سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصورا يقول سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول سمعت علي بن عبيد السهمداني يقول كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته فكتب أبو يزيد في جوابه سكرت وما شربت من الدرر وغيري قد شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه مطروح من العطش ويقول هل من مزيد

* سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي بن عبدالله يقول سمعت تيمور البسطامي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال أبي قال أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه ثم الأمر والنهي وحفظ الحد ودوأداء الشريعة وقال إذا وقفت بين يدي الله فاجعل نفسك كأنك مجوسي تريد أن تقطع الزنار بين يديه قال وحكى عمي عن أبيه أنه اجتمع عليه الناس فقال يا رب كنت سألتك الله ألا تحجبهم بك عنك فحجبتهم بي عنك وحكي عنه أنه قال نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوءة من الخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والافتقار

*سمعت أبا أسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الحلواني بترتيب يقول سمعت يعقوب بن إسحاق الهروي يقول سـمعت إبـراهيم الهروي وذكر عن أبي يزيد قال أولياء الله مخدرون معـه فـي حجال الأنس له لا يرهم أحد فيلدنيا والآخرة إلا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا إلا منتقبين من وراء حجبهم قال وقرئ ثـم أبي يزيد يوما يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال فهاج ثـم قال من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأن جليسه أبدا -

*وقيل لأبي يزيد أيصل العبد إليه في ساعة واحدة قال نعم ولكن يرد بالفائدة والربح على قدر السفر قال الشيخ رحمه الله تعالى اقتصرنا على هذا القدر من كلامه لما فيـه مـن الإشـارات العميقة التي لا يصل إلى الوقوف على مودعها إلا من غـاص في بحره وشرب من صافى أمواج صدره وفهم نافثـات سـره المتولدة المنتشرة من سكره [٢]

[٢] حلية الأولياء ابى نعيم .

ويقول أيضا :" منذ ثلاثين سنة كان الحق مرأتى فصرت اليوم مرأة نفسى لأننى لست الآن من كنته وفى قولى أنا والحق انكار لتوحيد الحق لأننى عدم محض فالحق تعالى مرأة نفسه بل أنظر : إن الحق مرأة نفسى !!! لأنه هو الذى يتكلم بلسانى أما أنا فقد فنيت (١)

ويعبر صراحة عن الاتحاد بقوله : :" أنى أنا الله فأعبدنى (٢) سبحانى ماأعظم شأنى " إنه غاية الفناء الذى وصل الى درجة الاتحاد بالله حتى أضحى هو الله سحانه.

فهو لايكتفى الفناء عن شهود السوى بحيث لايشاهد الا حقيقة واحدة هى اله تعالى وى بالفناء عن إرادة السوى ، وعن إرادة نفسه ، لأنه أراد أن لايريد وإنما تجاوز ذلك إلى فناء الوجود فى عين الموجود حتى صار " هو هو "وهو يشير إلى هذا الاتحاد بقوله " أنا الحق وانكار لتوحيد الحق "،انى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى "سبحانى ماأعظم شانى ".

(١) راجع الحركة عند الصوفية د/ محمد عبد ابو ريا ... ص ١٤٦

وتزداد جرأة أبى يزيد وحريته فى التعبير عن حال فنائه واتحاده بربه فينطق بهذه العبارات من الشطح[١] التى تقرع السمع وتصدع القلب وتحير الفكر فيأخذ الانسان العجب لذلك ويذهب فى هذا القول كل مذهب .

ويذكر لنا صاحب التذكرة وصاحب الرسالة (٤) قصة معراج أبى يزيد التى تؤكد نظريته فى الاتحاد وكيف وصل إلى هذه الدرجة التى ترنو إليها أبصار السالكين فيقول على لسان أبى يزيد :" كنت أثنتى عشرة سنة حدادنفسى ألقيت بها فى كور الرياضة ، وأحرقتها بنار المجاهدة ، ووضعتها على سندان المذمة وطرقتها بمطرقة الملامة حتى جعلت منها مرآة وكنت خمسين سنة مرأة نفسى أصقلها دائما بأنواع من العبادات والتقوى وسنة أنظر فيها بعين الاعتبار وقد نظرت فإذا فى وسطى زنار من الكبر والعجب والرياء والاعتماد على الطاعات ، فعملت خمس سنين حتى انقطع ذلك الزنار وأعتنقت الإسلام من جديد ونظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى

(١) .

فكرت عليهم أربع تكبيرات ورجعت مــن جنــازتهم جميعــا ووصلت إلى الله بعون الله وحده من غير وساطة من الخلق[٤] وهو هنا " وصول " بالمعنى الفلسفي لاقرب بالمعنى الشرعى أو وصـــول بمعنى القرب وهو وصول غير وساطه من أحد ولا حتى من الشرع لان الشرع فى نظر البسطامى كما يقول بيكلسون عن أبى على السندى وهى نظريه هنديه يصل بهــا الى الفناء فى الله .

ويؤكد البسطامى نظريتهً فى الاتحاد عبر الفناء فيما جــاء عنه فى مخطوطة النور من كلمات أبى طيقور عن الربيع قال : حدثنا خلف قال : دق رجل على أبى يزيد باب داره فقال له من تطلب ؟ قال : أطلب أبا يزيد ، قال : مرّ ويحك ـــــــ فليس فى الدار غير الله "" وفى روايةً قال يطلب أبى يزيد منذ أربعين سنة ، فرجع الرجل إلى ذى النون[(١)] وأخبره فغشى عليه

[٤] راجع الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة عبد الرحمن عبد الخالق ٣١٧ طدار الحرمين الخامسة ١٩٩٣م

(١) ذو النون المصرى من اعلام التصوف فى القرن الثانى ت ٢٤٥هـ .

وعند القشيرى فبكى ذو النون وقال : أخى أبو يزيد ذهب مع الذاهبين الى الله تعالى ٠

ويروى الطوسى – متعسفا – تأويل هذا النص على وجه سائغ كعادته فى الدفاع عن شطحات أبى يزيد ، رغم وضوح العبارة فى طلب الاتحاد والوحدة وا، كان الطوســـــىفى قرار نفسه لايقر ما ذهب اليه البسطامى على حقيقته ولذلك حكى عن ابن سالم : إن فرعون ذاته لم يقل ماقاله البسطامى عن الله تعالى ، لأن لفظ الربفقد يطلق على غير الله أيضا ، أما لفظ " سبحان " فلا يطلق إلا على الله وحده ٠

ومادام البسطامى قد وصل إلى درجة الاتحاد بالله فهو فى درجة تعدل بل تفوق درجة الأنبياء لأنهم دونـــه فـــى هـــذا التسامى الروحى الذى وصل به إلى درجة الاتحاد بالله تعالى ومادامت هذه منزلة أبى يزيد ودرجته عنـــد الله أو مـــع الله سبحانه وتعالى فانه سيجعل من نفسه الفداء للناس من النار يوم القيامة وسيستأذن ربه فى ذلك ، بل ليس لله فـــى نظـــرة أن يعذب البشر ، وماذا عليه لو غفر لهم وهم قبضة من تـــراب ؟

وأى شرف أن يحرق الله قبضة من تراب وما الإنسان ؟ إنـــه عظام جرى عليها قضاء الله فما ذنبها إن هى أخطأت ؟ ..[١] وقد خلق الله الناس بغير علمهم وقلدهم أمانة من غير ارادتهم ، فان لم يعنهم فمن ذا يعنيهم .

وأما الجنة فى نظرة فهى لعبة صبيان وليس لها معنى الا أنها مجال لرؤية الله فقط ولو حجب الله خواص عباده عن رؤيته فيها لاستغاثوا بالخروج منها كما يستغيث أهل النار للخروج من النار .

ولقد قرئ عنه يوما قول الله تعالى (يوم نحشر المتقــين الى الرحمن وفدا)[٢] فهاج ، ثم قال من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر ، لانه جليسه أبدا "

وللبسطامى كثير من الشطحات التى يقف أمامها المســلم مشدودا مبهوتا متحيرا لأنه أمام اقوال لو صدرت عن مســلم فى حالة صحو وأخذت على ظاهرها فهى كفــر صـــراح ، فكيف ساغ لأبى يزيد أن يتفوه بمثلها ...

(١) راجع التصوف الاسلامى بين أنصاره وخصومه . م.د/ عبد الرحمن الراكبى .
(٢) سورة مريم .

ولكن وقع ذلك قد يخفف نوعا إذا علمنا أن مثـــل هـــذه العبادات قد نطق بها صاحبها إن صحت نسبتها إليه ، وكثير مما نسب إلى أبى يزيد مشكوك فى نسبته إليه – فـــى حـــال وجدقوى ، أو فى حالة سكر وفناء ، فهو مغلوب على أمـــره ومعذور فيما يصدر عنه من عبارات مستغربة بل مستشـــنعة ولذلك دافع عنه الطوسى ودافع عنه الغزالى والجنيـــــــد

وقد قيل للجنيد : إن أبا يزيد يقول : سبحانى !! أنـــا ربـــى الأعلى !! فقال الجنيـــدإن الرجل مستهلك من شهود الجلال فينطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته أيـــــاه.

فلم يشهد إلا الحق فنعته ويقول أيضا إن الحكايات عن أبـــى يزيد مختلفه والناقلون عنها فيما سمعوه مفترقون .

وذلك والله أعلم لاختلاف الأوقات الجارية عليـــه فيهـــا ، ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص فيها ، فكل يحكى عنه ماضبطه من قوله ، ويؤدى ماسمع من تفصيل موطنه "

وكان يرى أن البسطامى من أصحاب الأحوال المغلوب على أمرهم وصاحب الحال لايقتدى به فهو ليس من اربـــاب

التمكين بل من أرباب الاحوال ٠ والأحوال بداية ، والتمكين نهاية ، وكان يقول إن أبا يزيد من عظم حاله وعلو إشارته لم يخرج من حاله البداية ولم اسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية

وقد وصف أبن تيميه فناء البسطامى بأنه فناء قاصر ، ويرى أن كلمات الفناء والسكر تطوى ولا تروى ولا تؤدى ٠

١- أختلاف النقل عنه كما يقول الجنيد والغزالى

٢- لأنه كان يتكلم من حيث وقته ووجده ، وفى حاله فنائه وسكره ، وحال الفناء والسكر يطوى ولايروى

٣- ولأنه كان ينكر مايروى عنه فى حالة سكرة وقت صحوه. جتى كان يقول لا صحابه اذا عدت الى مثلها فقطعونى بمداكم ، لأنه كان يستشنع ما يحكى له عن نفسه٠

٤- ولأن الدس عليه ، والوضع فى أقواله كان كثيرا

٥- ولأنه كان صاحب حال ، لاصاحب كمال ، وصاحب بداية لانهاية كما هو رأى الجنيد وأبن تيميه فيه (٠٠°)

° اعتمدنا فى هذه الجزئية على ماكتبه أستاذنا الدكتور المراكبى فى كتابه التصوف الاسلامى بين انصاره وخصومه أ٠د عبد الرحمن المراكبى ٠